روايات الهلال

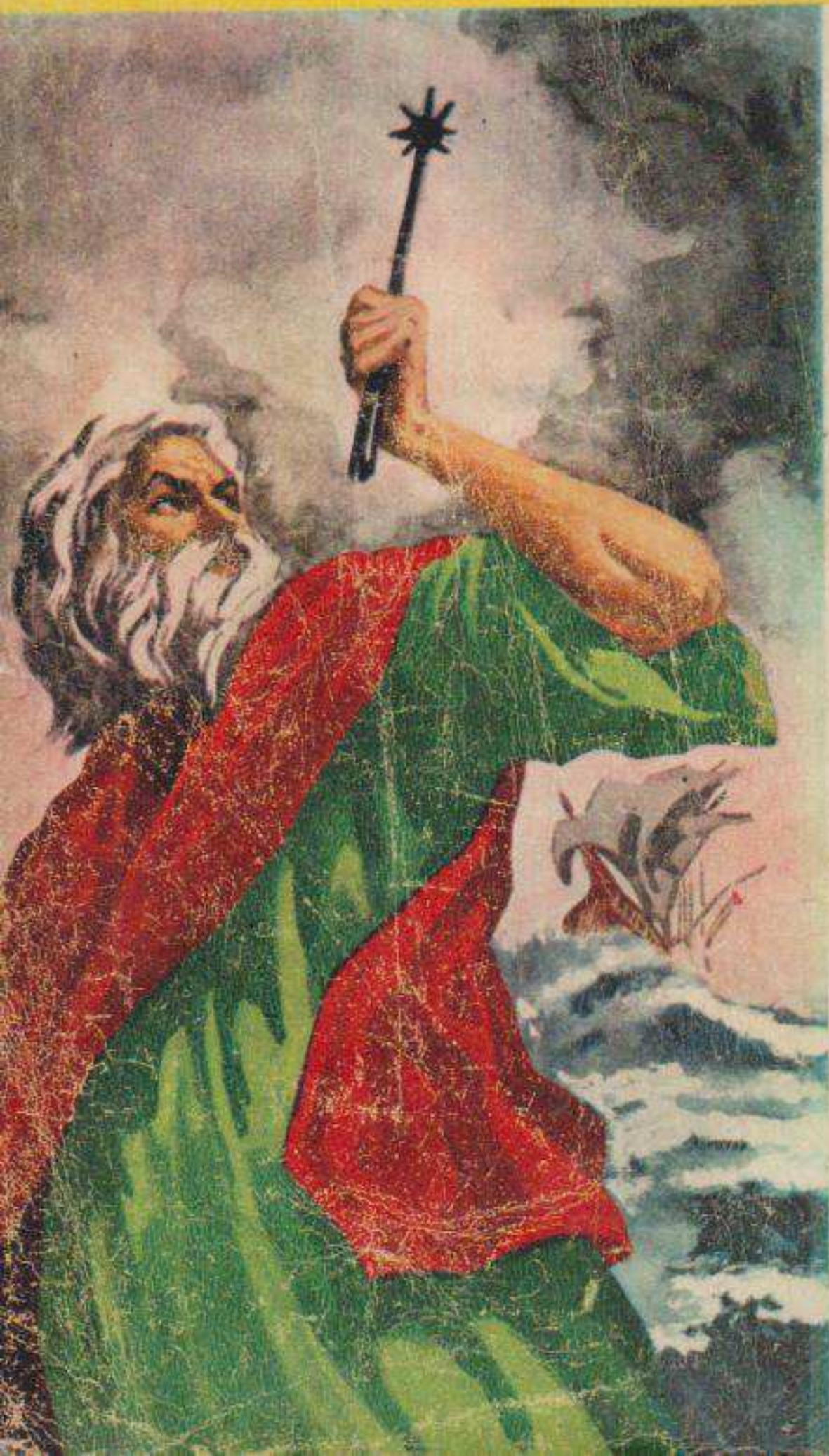

روائع شكسبير

- الزوبعة • حلم ليلة صيف
- قصة الشتاء • ضجة بلا طائل • كيفما تريد
- سيدان من فيرونا

الجزء الأول

١٩٩٠/١٠/٣٠

روايات الهلال

Rewayat Al-Hilal
تصدر عن مؤسسة « دار الهلال »

رئيس التحرير : كامل زهيري

العدد ٢٣٠ * فبراير ١٩٦٨ * ذو القعدة ١٣٨٧
No. 230 - Février 1968

بيانات ادارية

اسعار البيع ابتداء من العدد ٢١٧
الصادر بتاريخ ١٩٦٧/١/١٥

ثمن العدد : فى الجمهورية العربية المتحدة ١٠٠ مليم – عن الكميات المرسلة بالطائرة – فى سوريا ولبنان ١٢٥ قرشا ، فى الاردن والعراق ١٣٠ فلسا

قيمة الاشتراك السنوى : (١٢ عددا) فى الجمهورية العربية المتحدة وبلاد اتحادى البريد العربى والافريقى ١٠٠ قرش صاغ – فى سائر أنحاء العالم ٥ ونصف دولارات أو ٤٠ شلنا • والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال : فى الجمهورية العربية المتحدة والسودان بحوالة بريدية • فى الخارج بتحويل أو بشيك مصرفى قابل الصرف فى (ج•ع•م) – والاسعار الموضحة أعلاه بالبريد العادى – وتضاف رسوم البريد الجوى والمسجل على الاسعار المحددة عند الطلب

سعر البيع للجمهور : البحرين : ٢٠٠ فلس بحرينى ، الدوحة : ٢٠٠ نيابيزة ، عدن : ٢٨٠ سنتا ، السودان : ١١٠ مليمات ، ليبيا : ١٤٠ مليما ، الجزائر : ٢٢٠ سنتيما ، أثيوبيا : ١٢٠ سنتا

الادارة : دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب – القاهرة تليفون : ٢٠٦١٠ « عشرة خطوط »

روايات الهلال

مجلة شهرية لنشر القصص العالمى

الغلاف بريشة
الفنان جمال كامل

روائع شكسبير

الجزء الأول

●

تلخيص

شارل ومارى لام

●

دار الهلال

"شكسبير" موجز حياته
وتطور مسرحياته في مراحل حياته

« كل ما نعلمه عن شكسبير علم اليقين ، هـــو أنه ولد فى بلدة « استراتفورد » على نهر أفون الصغير ، وأنه تزوج فيها ، ورزق فيها بعض رزقهم من البنات والبنين • وبعدها ذهب الى لندن ، وفيها بدأ الاشتغال بالتمثيل ، ثم كتب الاشعار والمسرحيات • وأخيرا عاد الى بلدته « استراتفورد » وفيها كتب وصيته الاخيرة ، وفيها توفى ، وفيها كان دفنه »

هكذا قال عالم من أعلم الناس بشكسبير ، وبجميع ما يتصـــل بأدب ذلك العصر الاليزابيثى وتاريخه ، ونعنى به « جورج ستيفنس » من أبناء القرن الثامن عشر ، واليه قبل سواه يدين سائر من جاءوا بعده من النقاد الدارسين للشاعر العظيم ، المنقبين عن مصـــادر آثاره ، المحققين لمخلفات آثاره •

وهذا القول لا يكذبه الواقع القديم • فأن أقدم ما بين أيدينا من التراجم لحياة شكسبير ، كتب فى سنة ١٧٠٩ أى بعد قرن من وفاة الشاعر ، وكان كاتب هذه الترجمة لحياته هو المستر « رو Rowe » الناشر الذى تولى نشر مؤلفاته بعد مماته • ومن يرجع الى هذه الترجمة يجدها لا تكاد تحوى غير ما تسقطه المترجم فى اوساط الممثلين من احاديث وأساطير مما تتناقله الالسن عبر السنين •

كذلك لا نجد فى ما كتبه الكاتبون المعاصرون للشاعر الا القليـــل النادر من الاشارات الى حياته أو أشعاره ومسرحياته •

وبعد ذلك ، لا يبقى هتالك الا بعض المراجع الرسمية ، وهـــذه قاصرة على ما فى سجلات الكنيسة الابرشية فى البلدة الصـــغيرة « استراتفورد » ، حيث تقيد تواريخ الميلاد والوفيات والزواج لافراد الاسرة منذ هبط « جون شكسبير » والد الشاعر البلدة • والى جانب هذه السجلات الكنسية ، سجلات البلدية حيث يجرى تســـجيل العقود المدنية كالبيع والشراء وما الى ذلك من المعاملات ، فضلا عن

محاضر الجلسات التى يدون بها ما يجرى فى الشئون العامة الهامة كل حين
فهل ترانا الآن فى ذلك الموقف نفسه من شكسبير ؟

أترانا بعد كل هذه السنين من البحث والتنقيب ، يائسين من الوقوف على سيرته ، قانعين اخر الامر من معرفة شخصيته ، باطلاعنا على آثاره ومعرفتنا لعبقريته ؟

الواقع ، اننا ربما نكون قد تقدمنا خطوة أو بضع خطوات نحو الامام ، للكشف عن مواد أخرى هنا وهناك ، يمكن الاعتماد عليها فى اقامة الهيكل العظمى فى معظمه ـ ان لم يكن فى جملته ـ لما كانت عليه وسيرة هذا الشاعر العظيم ، أعظم الشعراء العالميين فى التاريخ الحديث

ولكننا بعد ذلك كله نعتقد مخلصين أن ما علمناه وما سوف نعلمه ، سيبقى قليلا ، بل اقل من القليل ، فى جانب المجهول من ذلك الملهم العظيم العبقرى

بلدة « استراتفورد » على نهر آفون الصغير وهى مسقط راس الشاعر العالى الكبير

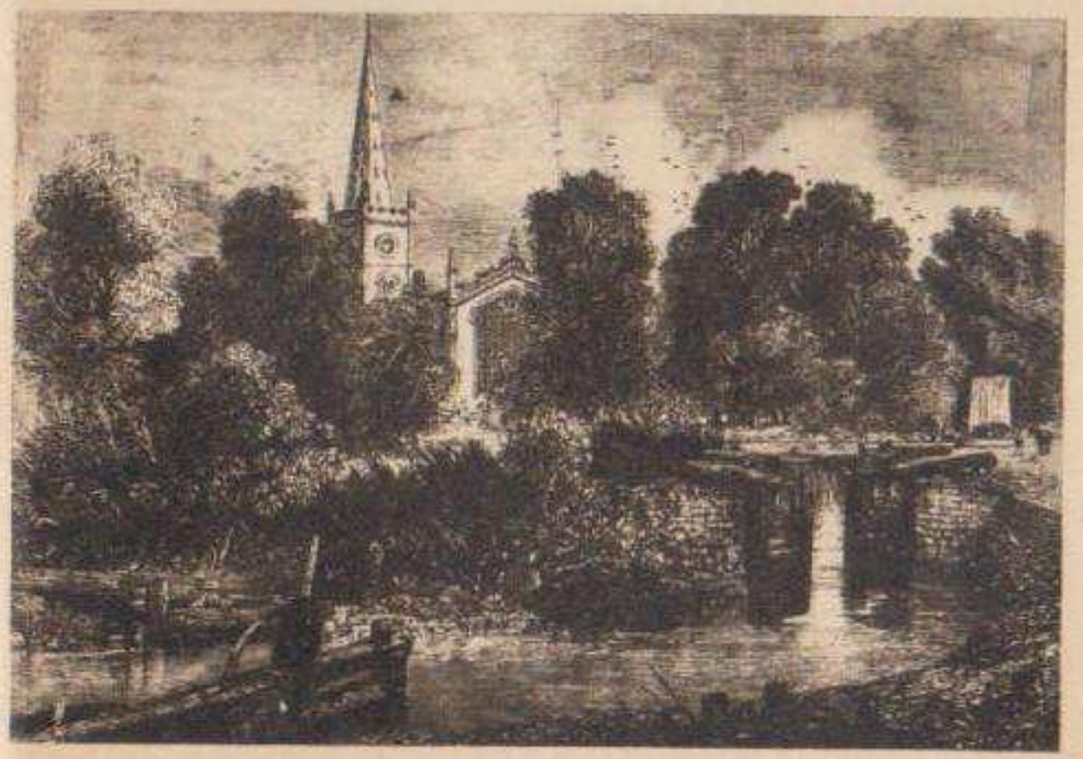

مولد الشاعر فى أسرة ريفية

كان مولد « وليم شكسبير » فى عصر النهضة ، بعد منتصف القرن السادس عشر فى ربيع سنة ١٥٦٤ وبالتحديد فى ٢٣ من ابريل ، فى اسرة ريفية باقليم فى قلب انجلترا يتوسطها وهو اقليم ورويك Warwickshire وكان مسقط رأسه من هذا الاقليم فى بلدة تقع على نهر افون وهى « ستراتفورد » Straford-on-Avon

وكانت ستراتفورد هذه ، بلدة صغيرة عامرة بما لم يكن يقل عن الف وخمسمائة الف نسمة ، ذات سوق رائجة ، ولها كنيسة على النهر ترجع الى القرن الرابع عشر ، وعلى مقربة من الكنيسة حديقة غناء ، وكانت منازلها التى تظهر فى واجهتها عروقها الخشبية على الطريقة النورماندية ، منتشرة فى نواحيها حتى ضواحيها · وكانت تمتاز ضواحيها بجمال ريفها الذى تتخلله الوهاد والنجاد تكسوها الخضرة التى ترتع فى مراعيها القطعان من الماشية ، فضلا عن المزارع ، كما لا تخلو من بعض الاحراش تصلح للرياضة وصيد الحيوان ·

وهذه البلدة الصغيرة كانت فى عهد الملكة اليزابيث Elizabeth اقرب الى المدينة منها الى القرى · فقد كان فيها الى جانب الموسرين من اصحاب الارض ، رجال التجارة والاعمال · ومن ابنائها قبل شكسبير وبعده من ارتحلوا الى لندن فى طلب اليسار ·

واقدم المعروفين من أسرة شكسبير هو جده « ريتشارد شكسبير » Richard المتوفى سنة ١٥٦١ قبل مولد حفيده بثلاث سنوات ، ولم يكن هذا الجد من ابناء ستراتفورد ، بل من بلدة تقع على أقل من اربعة أميال فى شمالها الشرقى وهى اسنترفيلد Snitterfield حيث كانت له مزرعة ، وكان يشتغل بالزراعة وتربية الماشية فى مزرعته ، وما استأجره من جاره صاحب الارض التى تليه فى قرية « ولكوت Wilmcote غربا اما ابو الشاعر ، فهو « جون شكسبير » John ولم يكن كذلك من ابناء « ستراتفورد » ولكنه هبط اليها

بعد وفاة ابيه · وهنا اتخذ متجرا واشتغل بصناعة الجلود · ولما كانت صناعة الجلود بطبيعة الحال تتصل بذبح المواشى وسلخ فروتها ،فقد جر ذلك الى قول بعضهم ـ فيما رووا بعد وفاته ـ انه كان قصـــابا « جزارا » وقول الاخرين انه كان يتجر فى الصوف · ولعل ذلك من قبيل التعميم لكثرة المشتغلين بتجارة الصوف بين ابناء الريف فى الاقاليم الوسطى بانجلترا ، وايا كان الامر فان الذى لا شك فيه هو انه اشتهر بالمصنوعات الجلدية الدقيقة وخاصة القفازات بدليـــل توقيعاته فى سجل القرية بما يمثل رسم القفاز اشارة الى صناعته · ومما يدل على حسن حاله ويساره انه اشترى فى سنة ١٥٥٦ دارا فى شارع هنلى Henley street اصبحت وشارعها وبلدتها ، بعد سنين من ميلاد الشاعر العالمى شكسبير فيها ، من اشهر المزارات التى يحج اليها كل عام من انحاء العالم المعمور الوف المعجبين ·

ولم يلبث « جون شكسبير » ان تزوج فى خريف سنة ١٥٥٧ بفتاة متعلمة من بيت عريق ، هى بنت الجـــار الغنى « روبرت اردن » Robert Arden صاحب الارض الذى ذكرنا ان والده « ريتشـــارد شكسبير » كان يستأجرها ويعيش من غلتها ، وكانت الفتاة « مارى اردن » Mary Arden اثيرة عند ابيها ، وقد ورثت بناء على وصيته نصيبا غير قليل من ميراثه ارضا وعقارا · وقد رزق الزوجان من هذا الزواج طفلة اخرى فماتت الواحدة والاخرى بعد ميلاد كل منهمـــا باشهر قلائل قلما تجاوزت مدة الرضاع · وفى ٢٣ من ابريل سنة ١٥٦٤ ولد فى احضان اليسر والرخاء « وليم شكسبير » الذى صار مستقبلا اعظم شعراء العالم غير منازع ، ثم تعاقب من بعده اولاد ثلاثة وبنتان ، وقد مد الله فى عمر الشاعر ، فعمر بعدهم وهو اكبرهم ، فيما عدا اخته « حنه » التى عاشت بعده ثلاثين عاما ·

منزل الريفى الذى ولد فيه شكسبير كما كان فى عهده قبل ما ادخل عليه من الاصـــلاحات الاخيرة

سنوات الدراسة
ومدى ما حصل شكسبير فى المدرسة

فى حوالى سنة ١٥٧١ كان وليم شكسبير قد بلغ السابعة من عمره فارسله ابوه الى مدرسة البلدة وكان التعليم فيها بالمجان ، فدخلها الصبى وانتظم فى فصولها نحو سبع سنوات ، وان كان لم يعثر فى المخلفات على سجلات للمدرسة يدون فيها اسماء تلاميذها وما يتعلق بهم من بيانات ، ولكن دخول مثله من ابناء البلدة مدرسة البلدة أمر لا يحتاج الى اثبات ، ولم يقم عليه بين مترجمى حياته أدنى خلاف · اما الثابت فهو اسماء نظار المدرسة واحدا بعد الاخر وكلهم من خريجى جامعة اكسفورد وهم مذكورون فى ســـجلات المجلس البلدى او الكنيسة ·

ولسنا فى حاجة الى القول ، ان شكسبير الغلام ابن السابعة كان يذهب الى مدرسة القرية مستكرها على غير رغبة منه ، فذلك شأن سائر الاطفال فى تلك الازمنة حتى عهد قريب ، لما كانت عليه الانظمة المدرسية من صرامة زائدة الى حد اباحة الضرب الشديد · وحسبنا أن نذكر هنا من ذكريات أشهر معاصرى شكسبير ، من مؤلفى المسرحيات المتقدمين وهو « كريستوف مارلو » اشفاقه فى بيت شعر مشـــهور لتلك الحال « حال الاطفال التلاميذ حيال هؤلاء المتعالمين من الاساتيذ ، الذين يسلخون جلودهم بالســـوط ينهـــال عليهم بالضرب القـاسى الوجيع » ·

واكبر الظن أن ما نال صاحب هذا الشعر من ضرب الاساتذة وهو صغير أشد قسوة وأكثر تكرارا ممـــا وقع من نصيب شكسبير الذى كان أبوه من التجار المياسير على حين كان الاخر أبوه حذاء (جزمجى)، ثم هو على الاخص دونه « شقاوة » فى حداثته ، كما كان فوقه اتزانا واعتدالا فى مستأنف حياته ·

وقد عوضنا شكسبير عن ذكر مأساة التلاميذ ، بتصويره الاساتذة الذين عرفهم أثناء التلمذة فى تعنتهم وتعالمهم المتفيهق فى كوميدياته ،

بعد أن مضى على أيام المدرسة سنوات طوال عديدة ، مثـــل كوميدية « جهد الحب الضائع » وكوميدية « زوجات وستمنستر المرحات » ·

وكان شكسبير فى أيام المدرسة يتعجـــل النهـــار ، لينصرف عن المدرسة الى أهله الذين كانوا كاشد ما يكون الوالدان حبا ، وحـدبا ، وحنانا على ولدهما ، وبخاصة انهما لم يرزقاه الا بعد الفجيعة مرتـين فى بواكير نسلهما · وليس أدل على هذا الانس بالاهل والارتيـاح الى البيت اللذين سنرى حرصه على تحقيقهما فى اخر حياته ، من خـلو كتاباته من أية ذكريات منزلية حزينة أليمة للطفـولة ، على الرغم من وصفه للاولاد فى بعض كوميدياته بأنهم على الدوام « خالعو الرسن ، فالتو اللجام ، قد استعصى على الام الرءوم عنادهم وصلابة رءوسهم ، وأما الوالدان فهما مضطران من فرط الحنـــان للخضـــوع لرغبتهم والنزول على ارادتهم فى معظم الاحيان ، وقد نراهما فى بعض الاحيان ـ كما يصورهما شاعرنا فى كوميديته « الصاع بالصاع »
— measure for measure

« يشدان بعض صغار الاغصان الى بعضها كالمقرعة ، على مرآى من الولد للتهويل بها وليس لاستعمالها ، حتى أصبحت المقـــرعة من تكرارهما لذلك ، أضحوكة ومسخرة عند الاولاد أكثر منها مفزعة » ·

وظاهر من كثرة أوصاف شكسبير فى مسرحيـاته للمروج الخضر والغابات والوديان والانهار ، وخاصة الازهار والاطيـار والحيوانات الصغار ، وسائر ما هنالك من بدائع الخلق فى السـموات والارض ، مقدار ما كان عليه منذ نعومة أظفاره من الشغف بالطبيعة فى بلده · وهذا لا محالة يفسر لنا ما كان يشعر به من الضيق بالمدرسة تحتبسه بين جدرانها من بكرة النهار (السادسة صيفا أو السابعة شتاء) الى الخامسة والنصف أو الخامسة قبيل عتمة المساء ، بعـد أن يختم هو وأقرانه اليوم المدرسى بمطالعة فى الكتاب المقدس ، وانشـاد مقطعين من كتاب التسابيح والاناشيد الدينية ، وأخيرا صلاة المساء ودعاءها ·

ولكن هذا التلميذ ـ وليم شكسبير ـ مع ضيقه بالمدرسة أكثر غيره من التلاميذ ، بحكم شغفه الشديد بالطبيعة وميله الفطرى للحيـــاة الحرة الطليقة ، كان أثنـــاء الدرس متيقظ الحس ، يراعى بكل حماليق عينيه المدرس ، فلا تغيب عنه حركة أو تفوته كلمة ، كأنما أوكل الى الفتى أن يسجل على أساتذته حركاتهم وخاصة المتكلفة ،ويقيد

عليهم كلماتهم وخاصة المتفيهقة ، كما تشهد بذلك محاكاته للاساتذة فى بعض كوميدياته وقد سبقت الاشارة اليها · ولم يزل « وليم » على هذه الحال فى المدرسة شديد الالتفات الى المدرس يتابع الدرس الذى يلقيه فيستوعبه ويعيه دون جهد ، بفضل ما أوتيه من سرعة الفهـم وقوة الحفظ ·

وعلى الرغم من أنه لم يقع للباحثين البرنامج الدراسى للمدرســة الاعدادية فى هذه البلدة بالذات ، فان ما أمكن العثور عليه من البرامج الدراسية لامثالها من المدارس الاعدادية لهذا العهد ، فى انجلترا ، يمكن القياس عليه لبلوغ الغرض · وبالرجوع الى مخلفات احدى هذه المدارس فى سنة ١٥٨٣ يثبت لنا أنه ـ الى جانب الكتاب المقـــدس وكتاب لتعليم أصول الدين وكتاب للصلوات واخر للتراتيـــل وهى الكتب الدينية الاربعة المقرر على التلاميذ دراستها بلغتهم الانجليزية ـ كان برنامج التعليم يتضمن نحو الخمس والعشرين دراسة فى الكتب اللاتينية يأتى فى مقدمتها كتاب « مقدمة موجزة للاجرومية » Short introduction to grammer لواضعه « ليلى » John Ly:y ولم يكن يخفى على طلاب هذا العصر أن المقصود ليس هو اجرومية لغتهم بل اجرومية اللغة اللاتينية · وقد وردت الاشارة الى هـــذه الاجرومية بالذات والاقتباس منها فى أكثر من مسرحية من مسرحيات شكسبير وخاصة مشهد الامتحان فى الاجرومية اللاتينية بين الاستاذ وتلميذه « وليم » فى مسرحية زوجات وندسور المرحات The Merry Wives of Windsor ومن بعد كتـاب «ليلى» فى الاجرومية تتعاقب عناوين بعض النصوص المشهورة فى اللاتينية مثل النسخة اللاتينية ل «حكايات ايزوب» وهى حكايات اخلاقية على لســـان الحيوانات ، ومختارات من الخطيب السياسى الاديب شيشيرون ، والشاعر الكبير فرجيل صاحب ملحمـة « الانياذة » Aeneid والشاعر هوراس ناظم القصائد البليغـــة فى المدائح والاهاجى ومبدع الرسائل الشعرية الحكيمة ، وأهم من هـذه جميعا منظومات « أوفيد » Ovid المسماة « الابدال » Metamerphoses وهى حكايات اسطورية عن الالهة وما كانت تتخذه من أشكال تتحول اليها لمشاركة البشر فى حياتهم ووقائعهم الغرامية · ويضاف الى ذلك مطالعة تلاميذ المدرسة لمشاهد من ملاهى بلوتوس وتيرانس ومآسى

سنيكا ، واشتراكهم معا فى تمثيلها ·

ويلاحظ فى مؤلفات شكسبير الاولى وهو لا يزال قريب عهد بما تلقاه فى المدرسة كثرة استشهاده بالنصوص من المؤلفين اللاتين يوردها بلغتها الاصلية كالنصوص التى اقتبسها من شواهد كتاب الاجرومية اللاتينية فى مسرحية « ترويض النمرة » ومن قبلها فى مسرحية « تيتوس اندروماكوس » ، ثم من شواهد مذكرات يوليوس قيصر « التعقيبات » فى الجزء الثالث من مسرحية هنرى السادس ·

أما اللغة اليونانية ، فلم يكن التلاميذ يدرسون منها الا ما يمكنهم من مراجعة بعض الايات فى الكتب الدينية ·

وفيما عدا ذلك يمكن الاشارة الى الملم شكسبير منذ شبابه بالفرنسية ، اذ كانت اللغة الفرنسية وقتئذ منظورا اليها بعين الاعتبار فى بلدته · وهنالك ادلة محققة على أن أكثر من واحد من زملاء شكسبير وأقرانه كانت لهم معرفة بالفرنسية وجولات فيها ·

مدخل الكنيسة التى عقد فيها زواج شكسبير

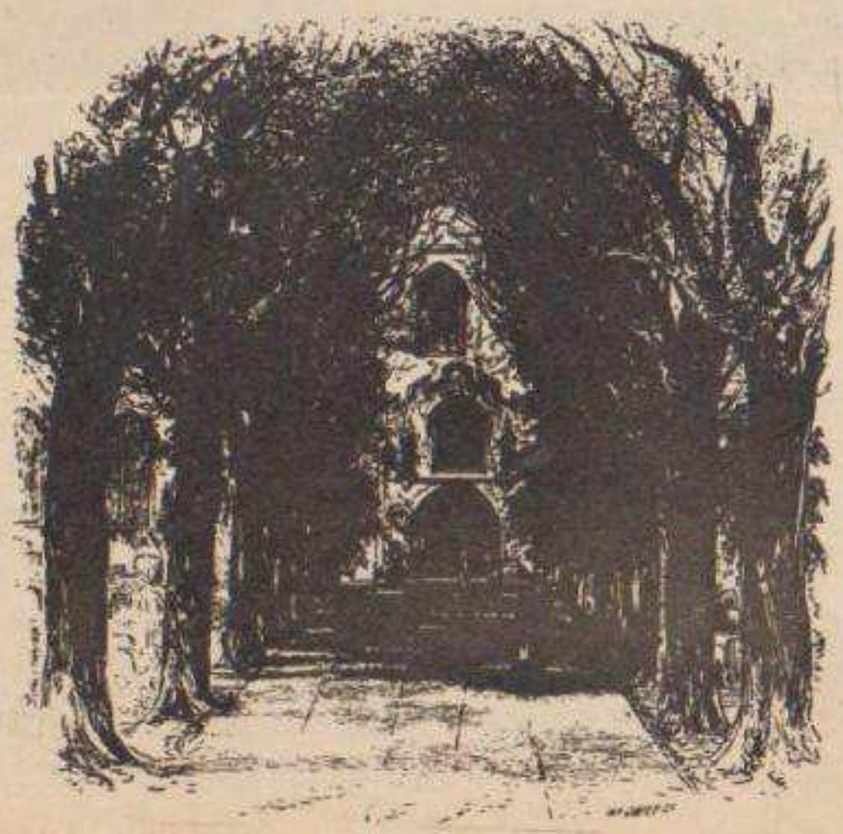

أزمات الوالد ومغامرات الولد

كان والد شكسبير قد اتسعت حاله وتكاثر ماله منذ زواجه بابنة جاره الغنى « مارى اردن » ، فأصبح بين أبناء بلدته علما يشار اليه بالبنان ، فلم يلبثوا أن نصبوه أمينا على الشئون المالية للبلدية فى عام ١٥٦٥ ، وبعد عامين أضافوا الى اسمه فى سجلاتها لقب « سيد »، ثم رفعوه الى ذروة مناصبها وهو منصب العمدة فى عام ١٥٦٨ ، فزاد به المنصب وجاهة ، كما زاد وجاهة به ، ومن ذلك انه كان أول من استضاف الفرق التمثيلية فى ستراتفورد مثل « فرقة الملكة » و « فرقة ارل ورسستر Earl of Worcester ابتداء من العام التالى ·

وكان ولده « وليم » وقتذاك فى الخامسة من عمره على وشك دخول المدرسة ، فلم يفته شهود تمثيلها · ولما كان لم ينقطع بعدها وفود الفرق المتعددة فى العام الواحد على بلدة ستراتفورد ، فقد تكررت الفرص السانحة للصبى ثم الفتى عاما بعد عام ، لمشاهدة المزيد من التمثيليات ومن الاداء التمثيلى · فكان فى هذا وذاك ما فيه من تحبيبه فى المسرح وترغيبه فى ممارسة هذا الفن وتعاطيه سيان هواية أو احترافا ، فضلا عما فى مشاهدته للمسرحية الواحدة من فرق متعددة من تكرار للدرس مفيد ، هو للمستقبل القريب أو البعيد بمثابة الاعداد والتهيئة والتمهيد ·

وكان والد شكسبير قد زادت عليه تكاليف العيش مع كثرة العيال، ومطالب ما استجد من جاه المنصب من حيث المظاهر والمآدب ، فضلا عما طرأ من تقلب الاحوال الاقتصادية ، فحلت به الضائقة وركبته الديون ، ورفع أصحاب الديون الامر الى الجهات القضائية فطالبته بالحضور لاداتها فتخلف ، فصدر فى عام ١٥٧٣ قرار من القاضى بالقبض عليه ، فحال منصبه دون اتخاذ الاجراء العاجل لتنفيذه · ولكن القرار ظل كالسيف المصلت على رأسه · وبدأت تنضب موارده، وتنفد البقية الباقية من مدخراته ، ويسقط ما كان له عند الناس من

جاه واعتبار · فأقبل على أملاكه وميراث زوجتـــه ليعـــالج الموقف بالرهون ، فلم يغن ذلك عنه ، وبلغ من افلاسه أن عجز حتى عن دفع الضرائب · وطاحت الازمة بعتاده وعتاد زوجته دون أن يحـــاول درأ الافلاس بتصرف يشينه فلم يسعه الا الاحتجاب عن المجتمع والامتناع عن مزاولة ما كان يتولاه من الوظائف العامة فى البلدة ·

وكان من جراء هذا كله ، خروج الفتى من المدرســـة عام ١٥٧٨ وانقطاعه عن الدراسة فيها الى دراسة الطبيعة من حوله ·

لقد كان من شان هذا التحرر من المدرسة ، أن أتيح للفتى أن يسلم نفسه ، روحه وحسه ـ الى الطبيعة يتقلب فى أحضانها ، متنقلا حيث شاء وكيف شاء ، يرتقى نجادها وينحدر فى وهادها ، يستاف تربها ، ويستمع الى الموسيقى فى حفيف أشجارها وخرير أنهارها :

« والنهر يوقع موسيقاه على حصبائه الملونة
« ويمنح كل نبتة من الحلفاء على شاطئه قبلة
« فى سفره المتعرج الطويل كالحاج الى الكعبة »
(مسرحية : سيدان من فيرونا)

وفى المروج يتغنى الفتى مع أطيـــارها ويبتسم لازهارها ويتنسم عطورها :

« عندما تنتشر فى المروج
« الاقاحى المبرقشة بمختلف الاصبغة
« والبنفسج الازرق ، والسوسن الفضى الابيض
« والبراعم الصفر هنا وهناك من الزنبق
« فتصطبغ منها المروج بأبهج الالوان »
(مسرحية : جهد الحب الضائع)

وحين يخيم المساء على الطبيعة ، يراعى الفتى ســـماءها ، يساير سحابها ، ويناجى نجومها النيرة كأنما يستخبرها عما هو مكتـوب له فى الغيب من الاحكام المقدرة ·

ولما كان هذا الحب للطبيعة لم يكن من قبيل الشعور الفنى بالجمال فحسب ، بل هو فيض الحياة الذى يربط الانسان الحى بكل ماحوله، فقد كان الفتى شكسبير فى هذه الفترة من الفراغ كثير الاختـــلاط بالناس ، يلابسهم فى حياتهم ويداخلهم ، ويعقد معهم الصـــداقات ،

وكان من أهم ما يشغله من هذه العلاقات الانسانية العلاقة بالنســاء ، وخاصة فى هذه السن من غلواء الشـــباب التى يغلب فيها على نفس الشباب ، فرط التنبه فى الحس واتقاد شهوة الجنس ، أى القـــوة الغضبية والشهوة الحيوانية · وفى هذا يقـــول شكسبير نفسه فى مسرحيته (قصة الشتاء) : « وددت أن لا تكون هناك تلك المرحـــلة من العمر بين سن العاشرة والثالثة والعشرين ، أو أن يغفو الشـبان طوال تلك الاعوام ، فليس بين هذه السن وتلك الا الفجور بالنســاء ، والعصيان للاباء ، وأعمال العنف من نهب واعتداء » ·

والقارىء لهذا القول بما تضمنه من الحرص على التحـديد الزمنى خاصة ، لا يخطىء الاحساس بأن الشاعر صدر فيه عن اختبـــار شخصى ·

والواقع أن التاريخ قد سجل ـ على قلة ما سجله عن حياة الشاعر ـ ما يشهد بذلك ، فى هذه الواقعة المحققة من وقائع حياته القـــلائل المدونة فى السجلات ، أثناء تلك الفترة الخطرة نفسها التى حدثنـــا عنها ·

فقد سجل التاريخ له وهو فى الثامنة عشرة من عمره ، مغامرة مع ابنة الجيران هى « آن هاتواى Ann Hathway من أسرة هاتواى التى كانت تقيم فى بلدة شوتيرى Shottery المجاورة ، وقد تزوجهـــا ، ولم يكن الزواج موفقا ، وهذا هو فى مسرحيته « الليلة الثانية عشرة» يرد أمثال هذا الفشل فى الزواج الى فارق السن · وكانت الفتاة تكبره بثمانى سنوات ، والمفهوم من وثيقة الزواج انه تم بعـــد تردد من الاسقف المنوط به تدوين العقود · فان الوثيقة كتبت فى الســـابع والعشرين من شهر نوفبر سنة ١٥٨٢ ، وفى الثـــامن والعشرين من الشهر نفسه أى فى اليوم التالى مباشرة كتبت وثيقة أخرى يشهد فيها رجلان من معدمى الفـــلاحين انهما مســـئولان عن كل طعن فى الوثيقة يعرض الاسقف لتبعة المخالفة لحكم القانون · ومن يرجـــع بعد ذلك الى تاريخ ولادة الابنة الاولى « سوزان أوسوسن Susanna يجد أنها ولدت بعد ستة أشهر من تاريخ وثيقة الزواج كمـــا يدل على ذلك تاريخ تعميدها فى السادس والعشرين من شهر مايو سنة ١٥٨٣ وهذا شاهد على ما ساقت اليه هذه المغامرة من مغامراته مع الفتيات

من مشكلات وقد اشار فى شعره الى سوء مغبتها ومن ذلك نصيحته فى الفصل الرابع من مسرحية العاصفة

ومن سخرية القدر ، ان كان هذا الذى كان ، فى ابان ما كانت تقاسيه أسرة شكسبير من الضائقة المالية الخانقة ، فوقع على عاتق الفتى وحده الاضطلاع فى وقت مبكر باعباء الزواج ، واضطر للسعى وراء الكسب للقيام بتكاليف الاسرة ، فاشتغل مع أبيه يساعده فى القليل الذى بقى يزاوله من صناعة أو تجارة ، فضلا عما قيل من انه اشتغل بالتدريس فى مدرسة ريفية ·

ولم يمض عامان على ميلاد الابنة الاولى سوزان ، حتى ولد للشاعر توأمان ـ ذكر وأنثى ـ فى ٢ فبراير سنة ١٥٨٥ وقد سمى الولد « هامنت » Hampet والبنت « جوديت » Gudith

ولم يعد هذا الاب الصغير ، ومعه هذه الاسرة الكبيرة ، بالذى يكفيه بحال بعد اليوم ما كان يأتيه من الاشتغال بالتدريس فى مدرسة فى الريف ، أو من العمل مع أبيه المأزوم الذى لم تكن أزمته تؤذن بانفراج قريب ، حتى بلغ به استحكام يأسه أن نزل سنة ١٥٨٦ عن منصب العمدة وتخلى عن سائر وظائفه بمجلس القرية ·

فلا غرو ، حيال هذا كله ، ان رأينا الفتى « وليم شكسبير » ، وهو فى عنفوان صباه ، لا يطيق البقاء هنا أكثر مما بقى مستسلما لسوء الحال صابرا على بلواه ·

فما العمل ؟ ما الحيلة ؟

ليس أمامه الا الهجرة من القرية ، كما فعل البعض ممن سمع عنهم من أبناء الريف ، من شتى القرى ومن صميم بلده · الهجرة الى حيث المجال الاوسع فى العاصمة ، فى المدينة الكبرى ، فى لندن ·

لقد هان عليه فراق أهله وفيهم أطفاله الصغار ، وخاصة والده الذى كان الفتى شديد التعلق به يحبه أكثر من حبه لولده ·

ولعل شكسبير فيما بعد كان يذكر هذا الشعور ، وهو يقول على لسان بعض الشخصيات فى مسرحياته هذه الابيات :

« مثل تلك الريح التى تفرق شمل الاحبة ،

« حين تبعثر الفتية فى أرجاء الارض ،

فى طلب الرزق الواسع الوفير ،

« بعيدا عن مواطنهم التى لا تؤتى الا النزر اليسير » ·

الهجرة إلى لندن

وفى ذات يوم على غير علم من أهله ، هجر وليم شكسبير قريته فى أواخر عام ١٥٨٥ ، وغابت أخباره عن المترجمين له منذ ذلك الحين حتى عام ١٥٩١ ، ويذهب الاكثرون منهم مذاهب شتى فى أمر سفره، وماذا كانت أوليات عمله فى لندن لكسب عيشه وكيف اتصل بالمسرح ممثلا ثم مؤلفا ·

ولكى نبدأ من البداية ، نقدم للقراء أحد المؤرخين الاولين ، لشكسبير الدكتور جونسون صاحب كتاب « حياة الشعراء » · فهو يشير فى الفصل الذى عقده على شكسبير الى أن أولى وسائله فى كسب عيشه أول قدومه على لندن كانت الوقوف عند باب المسرح ليمسك بجياد السادة القادمين على ظهور الخيل ممن لم يكن لهم خدم للقيام على ذلك ··

ونذكر بهذه المناسبة أن الكثيرين من الكتاب المحدثين عقبوا على هذا الذى قرره الدكتور جونسون ، فخالفوه فيما ذهب اليه وأنكروه عليه · وقد أورد الدكتور زكى نجيب محمود لبعضهم فى ختام كلمته فى تأييد الانكار قوله :

« ان كانت هذه الرواية صحيحة ، فلماذا لا نجد فى أدب معاصرى شكسبير اشارة قوية يعيرونه بها ، وكان منهم الاعداء الالداء ، وعلى رأس هؤلاء « روبرت جرين Robert greene

وعندنا ما نعقب به على هذا التعقيب ·وهو أن ما أشار اليه جونسون له ـ على عكس ما يقوله الناقد ـ سند يؤيده من كلام جرين نفسه ·· اذ يقول جرين فى مهاجمته شكسبير متهما اياه بالسطو الذريع والتقليد الشنيع ، فى الكلمة التى نشرها فى اخر أيامه ، موجها الكلام فيها الى زملائه مشاهير المؤلفين الذين سبقوا الى التاليف للمسرح:

« فهل لى أن ألتمس من قرائحكم النادرة أن تشغل نفسها بما هو أجدى من تاليف المسرحيات ، تاركين لهؤلاء القرود ان يقلدوا من جيدكم

القديم دون ان تتركوا لهم سبيلا الى الوقوف على ما سوف تبتدعونه من جديد . فانه لأمر يؤسف له أن تكون قرائحكم ، هذه القرائح النادرة، عرضة لان يستمتع بها هؤلاء السياس من خدم الخيل الاجلاف » .

ونذكر بعد ذلك قول القائل ان شكسبير هجر قريتـــه هربا من القصاص الذى أنذره به أحد الاغنياء النبلاء ، فى الاقليم ـ سير توماس لوسى ـ لانه علم أن « وليم » يصطاد الظباء خلسة من أرضـــه فى شارلكوت Charlecote بجوار استراتفورد . وقد ذهب بعض النقاد فى محاولة أخيرة لاثبات هذا الزعم المتأخر من مزاعم القرن الســـابع عشر ، الى الاستشهاد بحديث فى المشهد الاول من الفصـــل الاول من مسرحية « زوجات وندسور المرحات » حيث يتلاعب شكسبير بكلمة « لوس » بحيث تعنى القمل ، ساخرا على لسان « روبرت شـــالو Sholow » القاضى الريفى ، أن تكون القمل شـــعارا من شـــعارات الشرقاء . ونحن لانرى ما يدعو للتعرض الى هذا القول أو غيره بالمناقشة والاسانيد ابتغاء التفنيد ، فقد بلغ اليوم من ظهور بطلان هذا الزعـم أن لم يعد يلقى أدنى تأييد .

ولكننا نقف عند هذين القولين :

قول القائلين أن شكسبير خرج من القـــرية على غير علم من أهله ليلحق بفرقة من فرق التمثيل المتجـــولة فى قرى الريف ، كانت فى زيارة لبلدته أو احدى البلدان المجاورة .

وقول القائلين أنه خرج من الجزيرة البريطانية كلها فى رحلة من رحلات البعوث العسكرية التى كانت تتردد ذهابا وجيئة بين انجلترا وشواطىء أوروبا الغربية .

واختصارا للطريق نورد هنا ما رآه البعض فى الجمع بين القولين :

يذكر هؤلاء ـ ومن مؤيديهم عندنا الاستاذ العقاد ـ انه من المحقـق الثابت أن اللورد ليسستر كان قد غادر لندن على رأس بعثة عسكرية الى الارض الواطئة « هولندة » لمؤازرة الهولنـــديين فى حربهم التى شنوها على جنود الدولة الاسبانية المحتلة ، وكانت مغادرته للعاصمة الانجليزية فى سنة ١٥٨٥ التى انقطعت فيها أخبـــار « وليم » من القرية ولم يأت عنه خبر من لندن أو من أى مـــكان فى الجـــزيرة البريطانية ، وبما أنه من المحقق أن اللورد ليسستر قد استدعى للسفر

فى حاشيته باسم مستعار ، الممثل الهزلى ، « وليم كامبس » ـ الذى كان قد اختاره من رجال الفرقة التمثيلية المنسوبة اليه ليكون نديمـه الخاص ـ فليس يستبعد أن يكون قد صاحبه فى تلك البعثة ممثلون آخرون من ممثلى الفرقة وأن يكون شكسبير قد انضم اليهـــا على أثر هجرته من قريته الى لندن .

ومما يؤيد ذلك الرأى أن شكسبير حين وقعنا له على خبر فى لندن عام ١٥٩١ كان زميلا لهؤلاء الممثلين ، فى تلك الفرقة التمثيلية التى لم يتغير فيها غير اسمها لوفاة راعيها اللورد ليسستر سنة ١٥٨٨ وقيام غيره من ذوى الالقاب النبلاء على رعايتها واخرهم فى حياة الملكة اليزابيث اللورد تشمبرلين ، ثم من بعد وفاتها الملك جيمس نفسه الذى جلس على العرش الانجليزى بعدها .

وايا كانت الحقيقة بين هذه الافتراضات المعروضة ، فاننا نلقى اخر الامر شكسبير فى لندن وسط من طالت صحبته لهم من الممثلين ، ومن استحدث معرفتهم من المتقدمين عليه فى التاليف المسرحى مثل مارلو وليلى وناش وبيل ، وجرين وغيرهم ، ولعله شارك زملاءه من هؤلاء وهؤلاء فى حياتهم الصاخبة السادرة سنوات عديدة .

ونعود فنقول ما سبق أن قلناه من أن شكسبير اشتغل أول ما اشتغل بالتمثيل الذى كثيرا ما شهد عروضه فى بلدته وما جاورها ، ولكنه بعد قليل لم يقنع بذلك فاضاف اليه الكتابة المسرحية مقصورة على تعديل القديم من المسرحيات واستصلاحه ، وأخيرا يكشف شكسبير عن عبقريته النادرة بتاليف مسرحياته الجديدة الساحرة ، التى كانت زعيمة باعلاء شانه فى الادب المسرحى .

وقد كان من شأن ذلك أن دبت الغيرة فى نفوس من سبقوه من رجال المسرح ومعظمهم من الجامعيين ، الى حد لم يتمالك معه أحدهم « روبرت جرين » فى عام ١٥٩٢ من أن ينفث هذه الغيرة فيما كتبه ـ كما قدمنا ـ وهو على فراش الموت محذرا زملاءه المؤلفين الثلاثة ـ مارلو وناش وبيل ـ بقوله فى رسالة له مشهورة :

« انكم ثلاثتكم لسخفاء العقول اذا لم تتعظوا ببلوتى وما صارت اليه حالتى . ان تلك الدببة لم يعنها أن تمزق أشلاء أحد منكم ، كما عناها ان تمزق أشلائى . وأقصد بكلامى هؤلاء القرقوزات ، (الممثلين) التى

تتكلم بألسنتنا ، وتتخذ طلاء كالعاديات القديمة من ألواننا الحيـــة الزاهية · لا تطمئنوا اليهم ، فان بينهم غرابا قريب العهد محدث النعمة يتزين بريشنا ، ويظن أنه بمثل قوله « قلب نمر اكتسى بأهاب ممثل » قادر على صياغة الشعر المرسل فى لفظ جزل كأحسن رجل فيكم · ولما كان من زمرة الدخلاء على كل علم وفن ، فقد توهم فى نفسه انه هو وحده الذى يهز المسرح فى هذا البلد كله ·

ويدلنا على أن المقصود هنا بالغراب القريب العهد ، المحدث النعمة ، هو شكسبير ، ان العبارة التى تمثل بها خصمه الناقم « جرين » مأخوذة من احدى مسرحيات شكسبير (هنرى السادس) ، بعد استبداله باهاب المرأة فى الاصل اهاب الممثل ، كذلك وردت بعد ذلك فى ختام النبذة كلمة « الذى يهز المسرح » Shake-scene وفيها تلميح لا يخفى الى اسم شاعرنا شكسبير Shake-speare ومعناه ، « الذى يهز الرمح »

والتاريخ الادبى لا شك يحمد لصاحب هذه الرسالة الناقمة الظالمة رسالته ، لانها قامت كالمنارة على الطريق فى مجاهل هذه الفترة الغامضة فقد حددت زمن الفترة حوالى سنة ١٥٩٢ ، كما كانت هذه الصيحة فى سكون هذا الظلام ، ايذانا بظهور المؤلف المسرحى العظيم ، يظهر للمرة الاولى عند الانجليز من صفوف الممثلين فى شخص « وليم شكسبير » ، بعد أن كان الذين تقدموا دون استثناء ـ أو باستثناء واحد هو توماس كيد ـ من أصحاب القريحة الجامعيين University wits كما يسمونهم فطلع هذا العبقرى العصامى فاجتمع فيه ما تفرق فيهم ، وزاد عليه مما أوتيه ، فحجبهم عن المسرح طوال هذه السنين ، واخمل ذكرهم أجمعين.

النصب التذكارى لشكسبير بعد وفاته

تطور مسرحياته فى مراحل حياته

لم يلبث الشاب الريفى طويلا فى لندن ، حتى بلغ ما الفه للمسرح اللندنى ، بل العالمى فى مدى أربع وعشرين سنة نحوا من سبع وثلاثين مسرحية من الكوميـديات والدرامات المأسوية والتراجيديات التاريخية والتمثيليات التاريخ القومى ، وهذا كله انتاج وفير ، وخاصة انه يخلو من الاعادة والتكرار سواء فى الشخصيات أو الموضوعات أو أسـلوب التناول او الفكرة العامة أو الجو الخـاص · ولقـد جاء هذا الانتـاج ممتد حوالى سنة ١٥٨٩ حتى سنة ١٦١٣ على مراحل أربع من مراحل حياته ، ممثلة بدايته الموفقة وسرعة نضجه وتطور ملكاته وتعدد قدراته وتنوع أفانينه ، ومبلغ ما أفاده من أحداث زمانه وتجاريب حياته فى استجاشة أحاسيسه وتعميق تفكيره وتوسيع أفقه ، كمـــا جاءت مسرحياته ـ مع اقلاله فيها من الاشارة المباشرة للشـــئون المعاصرة ، ومع حرصه على عدم اقحام شخصه ـ مرآة مجلوة ينعكس فيها عصره وسائر الاعصار فى جميع الاقطار ، كما تنعكس فيها ظلال من بعض حالاته النفسية فضلا عن جميع الحالات فى النفس الانسانية عامة ·

١ ـ مرحلة التدريب والاستعداد

١٥٨٩ ـ ١٥٩٥

من البديهى عندنا الذى لا يحتاج الى دليل ، أن يكون شكسبير قبل هجرته من بلدته « ستراتفورد » قد عالج نظم الشعر فى شبيبته ، ولا غرابة أن يكون الامر كذلك ، بل الغريب أن لا تكون كذلك نشأة الشاعر المطبوع وخاصة المتمكن فى النظم مثل شكسبير ، وعلى الاخص اذا علمنا أن نظم الشعر كان فى عهد النهضة من سمات العصر ·

المنظومة الاولى

من أجل ذلك ما ذهب اليه بعض النقاد ، من أن شكسبير قد نظم فى بلدته وقتذاك ، جزءا على الاقل من المنظومة التى صارت لها بعد ذلك شهرة مستفيضة ، أدت الى تكرار طبعها أكثر من مرة فى حياته ، وهى منظومة لاسطورة « فينوس وادونيس » Venus and Adonis والواقع أن الاسطورة حافلة بمشاهد الريف وأصدائه وتصرفات الطير والحيوان كما عرفها الفتى فى بلدته وما جاورها أثناء جولاته فى المروج والغابات وهذه الاوصاف فى منظومته من وضوح الرؤية والنضارة بحيث أوحت الى النقاد أنه نظمها فى بلدته قبل هجرته ، ثم عكف على اتمامها فى لندن حين كانت المسارح معطلة بسبب الطاعون ، وكان اعتماد الشاعر فيها على مجموعة الاساطير التى نظمها الشاعر اللاتينى « أوفيد » Ovid فى كتابة « الابدال » Metamorphoses الذى ترجمه ارثر جولدنج الى الانجليزية ونشره سنة ١٥٦٧ كاملا ، ومن قبل ترجمته كانت لشاعرنا فى مطالعاته المدرسية سابقة الملم بمختارات من هذه الاساطير فى لغتها الاصلية • وقد نشر شكسبير القصيدة فى ابريل سنة ١٥٩٣ وجعل اهداءها للشاب الغنى النبيل هنرى وريوثسلى ، ارل أوف سوثمبتون Henry Wristhesley, Earl of Southempton فأجازه عليها فيما يقال بألف جنيه •

والقصيدة منظومة مقطعات كل مقطعة من ستة أبيات وهى تحكى لنا فى شعر جزل ، غنى بأطايب الثمر الشهى ، مشبوب التلوين ذى قوة درامية ، كيف كانت ربة الحب والجمال فينوس تختلس النظر الى ادونيس وهو يصطاد الوحش فى الغاب ، وما أعقبه نظرها الى الشاب الجميل الشجاع من عشقها له الى حد الصبابة والهيام به ، وما كان من فتوره تجاه تقربها منه وتحببها اليه ومراودتهـا له • وهذا هو « أدونيس » لم يكد الليل يسدل أستاره ، حتى أزمع الانصراف وأصر عليه ، لانه على موعد فى الصباح الباكر مع رفاقه للخروج لصيد خنزير وحشى • وهذه هى فينوس تودعه راجية أن يطارد من الحيوان ما هو أقل من هذا خطرا وما كان من الغد حتى سمعت نباح كلاب الصيد ، وصوت نفير الصياد فأسرعت الى مصدر الصوت فاذا معشوقها مضرج بدمه ، صريع طعنة من قرن الجنزير فى جنبه • فوقفت فينوس عليه تندبه وقد قضى نحبه وفارقته الحياة •

وفيما يلى نموذج من ختام هذه القصيدة الشكسبيرية من ترجمة الاستاذ العقاد

رأت شفتيه والهكا يستجيشها
فما راعها الا اصفرار عليهما

وجدت يدا كانت نطافا لخصرها
فلا رمقا فيها تحس ولا دما

ومالت على اذنيه حتى كأنه
ليسمع منها شجوها والتندما

وتفتح عينيه لتبصر فيهما
سراجين كانا يسطعان فأظلما

سراجين كانا يجلوان لعينها
جمال محياها فواراهما العمى

وكانا لوجه الحسن أجمل مبصر
فقد فجع الموت المحاسن فيهما

فقالت : برغمى أنك اليوم ميت
وان الضحى لما يزل مبتسما

فيا أيها الحب الغوى الا انطلق
على الناس سيلا جارفا أو جهنما

الا وليكن اشقى الانام بحبه
أحق امرىء فيه بأن يتنعما

ثم التفتت ربة الحب فينوس ، على ادونيس الشاب الجميل الشجاع وهو جسد هامد مضرج بالدماء ، فأبدلته فى موضعه زهرة ناضرة حمراء ، واذا كانت هذه الزهرة تختفى كسائر الازهار فى الشتاء ، فانها تعود طوال الدهر الى الحياة متجددة كل ربيع •

ولكن شاعرنا قبل سنوات من نشره هذه القصيدة واشتهاره بها ، كان قد خدم المسرح ، لا ممثلا غير مقصر من ممثلى الفرقة فحسب ، بل كمؤلف ينقح القديم من المسرحيات بناء على رغبة الفرقة مجاراة للاحوال أو موافقة لرغبات الجمهور أو طمعا فى المزيد من تحريك المشاعر والتاثير فى النفوس •

المسرحية الاولى

ولم يقف « الممثل المؤلف » شكسبير عند هذا الحد من العمل الادبى ، بل أخذ يؤلف المسرحية كاملة •

وأول ما ألفه شكسبير من المسرحيات ، على القول المتفق عليه عند النقاد ، كوميدية « جهد الحب الضائع Love's Labour's Lost » فى عام ١٥٨٩ أو نحو ذلك • ونحب أن نقف قليلا عند هذه الكوميدية بوصفها باكورة أعمال شكسبير المسرحية ، لنلاحظ أنه كتبها وهو لم يمتلك بعد ناصية الشعر المرسل ، ومن ثمة ما يلاحظ من جريانه على ما كان المعتاد المألوف فى الشعر من مراعاة وحدة البيت بحيث يكمل معناه فى نهاية البيت لا يتعداه • وفضلا على ذلك فان معظم المسرحية ليس من الشعر المرسل ، بل المقفى مع تنويع الاوزان ، كما أن النثر فيها قليل نسبيا • ولكن أهمية هذه المسرحية لا تقف عند هذا الحد من دراسة

الشكل . وذلك لانها فضلا عن كونها فريدة فى بابها من حيث ان شكسبير – على مدى ما نعرف – واضع قصتها وصاحب غذرتها كما يقولون ، فان هذه الباكورة المسرحية تحمل كل الاصول التى سنراها متزعرعة ومتفرعة ومستفحلة فى مسرحياته المستقبلة من حيث فنون الدراما : من تصوير الشخصيات على اختلاف طبائعها وشواغلها ، ومن تدبير المفاجآت ، ومن روح الفكاهة وبراعة النكات ، ومن مداولته فى تعابيره الصادقة بين اللغة المتأنقة المصطنعة واللغة الطبيعية المرتجلة وذلك المزج اللطيف بين التفانين الخيالية والحقائق الواقعية على نحو يسحر القلوب والالباب .

وهذه المسرحية تمثل لنا فرديناند ملك نافار ومعه ثلاثة من رجاله وقد عقد العزم على أن يجعل من نفسه ومنهم اكاديمية فى البلاط على طريقة الرهبان ، حيث يعتزلون الناس عاكفين على الدرس وتحصيل العلوم ، وقد أخذ عليهم وعلى نفسه العهد على الصيام مكتفين بوجبة من الطعام واحدة ، وقضاء الوقت كله فى التأمل والدراسة ، لا يشغلهم عن ذلك شىء من شئون الدنيا ، معرضين عن النساء حتى عن مجرد النظر اليهن ، لمدة سنوات ثلاث .

فلم يمض غير يسير من الوقت ، حتى قدمت على القصر صاحبة السمو أميرة فرنسا ، ومعها ثلاث من سيدات البلاط الفرنسى ، مما يهدد هذه العزلة التى اختاروا لانفسهم وتعاهدوا عليها . فأصدر فرديناند أمره بعدم السماح لهن بدخول القصر ، ونصب سرادقات لهن فى الحديقة لاقامتهن ، ولكن كان مجرد تلاقى الانظار من بعيد ، قد فعل فعله ، فوقع كل من الرجال فى هوى واحدة من السيدات ، بيد أنهم كانوا يكتمون ذلك عن بعضهم البعض . فاذا افتضح امر واحد منهم لامه الاخر مدعيا لنفسه الثبات على المبدأ ، فلا يلبث أن يفتضح بدوره .

واخيرا يتفق الرجال على زيارة السيدات للقيام بواجب الترحيب بهن واكرام وفادتهن وهم متنكرون فى زى الروس ، وعلى وجوههم الاقنعة . وينمى هذا الخبر فى حينه الى السيدات ، فيتعمدن ان يتبادلن الشارات والثياب مع بعضهن البعض ، حتى يضل الرجال فيتقرب كل الى غير محبوبته ، فيحلو الاجتماع ويعم السرور والضحك

وما أن يبلغ اللهو ذروته ، حتى يجىء الرسول بخبر وفاة ملك

فرنسا والد الاميرة ، فيبادر الرجال الى السيدات قبل انصرافهن ، وكل يطلب الزواج بمن أحب . ولكن السيدات يأبين الزواج الا بعد عام عقابا للرجال على ما كان من ذلك الاعتزال الذى اخذوا به انفسهم اول الامر ، فاذا هم ظلوا الى ذلك الحين أوفياء كانت السيدات لهن

ومن ثمة سميت الكوميدية باعتبار الحاضر « جهد الحب الضائع » والقارىء لهذه الكوميدية يحس فيها التعرض بالنقد اللاذع الفكاهى لمحاولات ادعياء المثالية الدعوة الى ما يزعمونه المدينة الفاضلة فى مواجهة المدينة الواقعية بحياتنا الطبيعية ، وبما للحب الطبيعى فيها من سلطان يفرض حكمه على الانسان وسائر الاحياء ، حتى لا فكاك منه ولا غنى عنه لكائن ما كان . وهذا الحب هو الذى نلقاه فى معظم مسرحيات شكسبير ان لم يكن كلها ، سواء فى ذلك الدرامات الفكاهية أو الدرامات المأسوية

ولم تكن هذه المسرحية الا اول الغيث فقد انهمرت المسرحيات بعدها حتى صار لا يقل انتاجه عن المسرحيتين كل عام ، ونذكر من المسرحيات التى أعقبت الباكورة المذكورة كوميدية الاخطاء The Comedy of Erross سنة ١٥٩١ – وهى من الكوميديات الهازلة التى تحتال على الوقوع موقع القبول عند الجمهور بتكرار الخدع البارعة ، والاخطاء والخلط بين الشخصيات والمفاجآت والارتباكات والتورية واللعب بالكلمات والالغاز والمعميات دون أن تكون هنالك الكثير مما يهتم له من الناحية الانسانية . وعلى الضد من المسرحيتين السابق ذكرهما مسرحية سيدان من فيرونا The two gentlemen of Verona سنة ١٥٩٢ فانها مع ما فيها من الشخصيات المتنكرة والفكهة تقوم على علاقات انسانية فيها مسحة مأسوية

وهذه البواكير اليانعة الشهية كان انتاجها يتخلله انتاج مسرحيات من نوع آخر . فقد كان الانجليز وقتئذ قريبى عهد بما كان من مهاجمة اسبانيا لشواطئها سنة ١٥٨٨ باسطولها الضخم المسمى « ارمادا التى ذالب لها « Armadas, the invincible» وما كان من قيامهم باجمعهم – على اختلاف طبقاتهم من الملكة الجالسة على العرش الى أدنى أبناء الشعب، وعلى تباين معتقداتهم من كاثوليك وبروتستانت – قومة رجل واحد لمقاومة الغزو الاجنبى ، وما أوتوه من حظ عظيم بهزيمة العدو الذى

ظلّ يتهددهم سنين ، فتحطم في يوم وبعض يوم أسطوله الجبار القوى فلا غرو اذا كانوا فى هذه الحقبة شديدى الثقة بانفسهم والاعتزاز بقوتهم ، وما يثيره ذلك من الرغبة فى استذكار ماضيهم لاستيحاء روائع ما كان من وقائع ، للتغنى بما كان فى بعضها من مآثر ومفاخر، ومن هنا كان اهتمام شكسبير او على الاصح الفرقة التمثيلية التى كان يعمل فيها بالمبادرة الى تلبية هذه الروح القوية الحماسية عند الجمهور الانجليزى ، والعمل على تأليف المسرحيات التى تعرض التاريخ القومى المعاصر . فكان اول ما كتبه شكسبير من هذا القبيل أو على الاصح اشترك فى كتابته ، مسرحيات ثلاث عن تاريخ (هنرى السادس) وهذا التاريخ ، تاريخ هنرى السادس جد طويل ، فقد كانت مدة حكمه نحو الخمسين عاما . ويتلخص امره فى أن ابوه الملك العظيم هنرى الخامس ـ على أثر انتصاراته الساحقة على الفرنسيين ـ حصل على الحق بعد وفاة ملك فرنسا ان يكون ملكها . فلم يلبث ان مات الاثنان فصار تاج فرنسا لابن العاهل الانجليزى ، فكان تتويجه فى باريس سنة ١٤٢٢ ملكا على فرنسا وانجلترا ، وهو طفل رضيع لم يتجاوز عمره تسعة شهور ، وقد امتد حكم هنرى السادس ملكا على انجلترا وفرنسا حتى ظهرت « جان دارك » فكان انتصارها على الانجليز ورفعها الحصار عن مدينة « أولينز » على نهر اللوار مشجعا للفرنسيين على مواصلة القتال ، حتى اجلوا الجيوش الانجليزية عن فرنسا كلها ما عدا ميناء كاليه سنة ١٤٥٣ ، وكان هذا ختام حرب المائة عام بين انجلترا وفرنسا . فلم يمض عام بعد هذا الختام حتى ألم بالملك الانجليزى « هنرى السادس » طائف من الجنون ، فعين دون يورك قيما على المملكة بلقب « حامى الملك » ولكن الملك لم يلبث ان عاوده رشده وعزل الحامى عن منصبه ، فأبى وشرع السلاح فى وجه ملكه وهب لقتاله على رأس حزبه ، وهكذا نشبت عام ١٤٥٥ بين الحزبين أفظع الحروب الداخلية التى عرفتها انجلترا بين حزب الملك وهو من أسرة لانكستر وشعاره الوردة الحمراء ، وحزب الدوق وهو من اسرة يورك وشعاره الوردة البيضاء ، ومن ثمة عرفت هذه الحرب التى دامت ثلاثين عاما باسم حرب الوردتين وقد راح ضحيتها معظم النبلاء الفرسان من الجانبين

وكانت الفرقة التمثيلية التى يعمل فيها شكسبير ممثلا قد عهدت بمشروعها الضخم فى اخراج تاريخ هذه الحقبة التاريخية ، الى ثلاثة من مشاهير مؤلفى المسرح وقتذاك وهم « جرين Green وبيل Peele ومارلو Marlowe ، الذى كان اشهرهم ، فاتفقوا على تقسيم تاريخ الحقبة بينهم على حسب ما راعيناه هنا فى ترتيب أسمائهم . وكان يشاركهم فى التاليف شكسبير مشاركة فعلية ، حتى يأتى العمل بحكم خبرته ممثلا ، مضمون النجاح من الناحية التمثيلية . وأبى جرين الا ان يستقل بالتاليف ، فجاء مقصرا عن التوفيق فى مسرحيته وهى المسرحية الاولى التى تدور أحداثها فى فرنسا فى ختام حرب المائة عام ـ فتولى شكسبير تنقيحها واستكمال نقصها الى حد يمكن معه القول بانه اعاد كتابتها ، مما كان له اثره فى اثارة « جرين » عليه لما أصابه من ضرر مادى فضلا عن جرح كبريائه وفرط حساسيته . أما المسرحيتان الاخريان اللتان تدور أحداثهما فى انجلترا اثناء الحرب الداخلية « حرب الوردتين » فقد كانت مساهمة شكسبير فيهما بنصيب لا يقل عن النصف بل يزيد فى المسرحية الثالثة

ويقع تاليف هذه المسرحيات فى المدة ما بين ١٥٩٠ ـ ١٥٩٢ وقد روعى فى تاليف هذه الثلاثية استقلال كل واحدة بذاتها ومن ثمة ما كان من تمثيل المسرحية الثانية او الثالثة قبل الاولى

وقد استانف شكسبير بعد ذلك وحده دون شريك تاليف مسرحيات مما بقى من احداث الحرب الداخلية ـ حرب الوردتين ـ فى مسرحية « ريتشارد الثالث » . وقد اعتمد شكسبير فى سائر ما كتبه من مسرحيات التاريخ القومى على اخبار ذلك الزمان فى حوليات المؤرخ الانجليزى « هولندشد Holindshed » الذى نشرها بالانجليزية عام ١٥٧٨

ومما يلاحظه النقاد على شكسبير فى مسرحيات التاريخ القومى خاصة فرط تعصبه لقومه على من سواهم . وأمامنا المثل الصارخ على ذلك فى تصويره للبطلة الفرنسية العذراء « جان دارك » فى صورة مزرية كريهة وعرضه رسالتها الوطنية على انها تدجيل وتضليل كلها ، على قدر اشادته بالقائد الانجليزى « تالبوت » بالرغم من هزائمه المتكررة ، والتماس العذر له ، واعلائه من شأنه فى حياته

ورفعه فى موته الى مصاف الابطال

وننتقل بعد التاريخيات الى هذا العالم من الشعر الخالص الذى يمتزج فيه الواقع بالحلم والجمال بالخيال فى مسرحية « حلم ليلة منتصف الصيف Midsummers Alights Dream» وهكذا لا نزال ننتقل مع شكسبير حتى يعود بنا فى ايطاليا الى حيث كان « السيدان من فيرونا » لنلاقى هذه المرة فى مسرحيته التى كتبها عام ١٥٩٥ « روميو وجولييت » وقد توهج قلبهما معا بضرام من عاطفة الحب الكلية التى لم تدع منهما بقية لم تشتمل عليها تلك النار المحرقة المطهرة القدسية.

فلا غرو تكون هذه المسرحية الغرامية اولى ما نظمه شكسبير من التراجيديات الخالدة

ولما كان قد نظمها وهو فى سن الثلاثين ، فقد جاءت مع ما فيها من عذاب وفجيعة ذات طابع جميل غنائى ، كما جاءت مختلفة عما نظم بعدها فى سن متأخرة من المآسى الاخرى الفاجعة التى تمتاز بالعظمة والاتساع

٢ ـ مرحلة التفتح والازدهار ١٥٩٥ ـ ١٦٠٠

فى هذه المرحلة كان شكسبير قد كثرت اتصالاته بالنـــاس ، وصار فى قلب الحياة ، فزادت تجاربه ، وتعمقت دراسته للطبائع ، فلا غرو اذا افادت من ذلك مسرحياته ـ الى جانب تمكنه من الصناعة الفنية ـ مزيدا من التنوع فى الشكل والاسلوب ، ومزيدا من غزارة المادة وجزالة المضمون ، ومزيدا من الاقتدار على تصوير الشخصيات

ومن المسرحيات التى كتبها شكسبير فى هـذه المرحلة كوميـدية « تاجر البندقية the Merchant of Venice» التى يتداخل فيها الفاجع والمضحك مثل تداخل السداة واللحمة فى خيوط النسيج ، على نحو يجعل المتفرجين منذ ذلك الحين حتى اليوم يتابعون كالمأخوذين هذه المزاوجة فى التكوين حتى يبلغ التأثير قمتـــه فى مشهد مرافعـــة « بورشيا » ـ وهى متنكرة فى زى رجل من رجال المحاماة ـ بين يدى القضاء ضد شيلوك المرابى اليهودى الشره الى المال والدماء

وبعد هذه المسرحية التى بلغت حد الكمال فى هذا الفن التراجى ـ كوميـدى الذى تلتقى فيه الكوميـديا والتراجيـديا فى منتصـف

الطريق ، نذكر كوميدية « ترويض المرأة النمرة The Taming of the Shrew » وهى كوميدية بارعة للفكاهة الخالصة

بيد ان شاعرنا جمع فكاهة العالم كلها ليمزجها بكلّ ما فيها من عناصر المضحك الهزلى ، بوقائع التاريخ الملكى فى مسرحيتى « هنرى الرابع » و « هنرى الخامس » ، وخاصة اولاهما ، حيث ظهـرت للمرة الاولى شخصية « فالستاف Falstaff» البدين الجبـان الجعجاع ، المتهالك على الطعام والشراب وكلّ ما فيه رخيص المتاع . وقد لاقت هذه الشخصية على ما بها من الغلظة السوقية عنـد الجمهور الانجليزى كافة ، سيان فى ذلك العامة او الخاصة اكبـر النجاح ، حتى قيل أن الملكة اليزابيث لم تنس بعد سنوات أن تطلب من شكسبير ، أن يعيد الى المسرح « فالستاف » فى دور جديد ، وليكن « دور العاشق » لاعتقادها الاكيد بأنها ستجـد فى تصرفاته المضحكة ملهاة ، كانت الملكة وقتذاك فى اشد الحاجة لهـا للترويح والتسرية عن نفسها ، وكان هذا فيما يقال ما دعا شكسبير الى كتابة كوميديته الهازلة « زوجات وندســـور المرحات Merry wives of Windsor » حيث نرى عبث النساء ومكرهن بهذا العاشـق البـدين الذى يراودهن

ونعـود الى مسرحيـة « هنرى الخـامس » لنقـول أن ظهـور « فالستاف » بها ، لم يكن ليؤثر على طابعها الجدى الرفيع . فقد افاض عليها الشاعر من روعة بلاغته فى تمجيد البطل وفرط حماسته للوطن ، ما جعلها تقع فى الاسماع موقع النشيد الوطنى

ولما كان قد تم فى سنة ١٥٩٩ بناء مسرح جلوب ، وكان شكسـبير مساهما فيه وواحدا من اصحابه ، فقد كتب لاجتذاب الجمهور اليه كوميديات ملونة بالحب ، فلم يكن الحب هنا ممثلا فى اغواره العميقة ، بل فى تلك اللمسات الرقيقة لجوانبه الخفيفة مثل كوميديات « ضجة بلا داع » او كما يقول العرب « جعجعة بلا طحن Much ado about nothing » ، و « على هواك As you like it » او « الليلة الثانية عشرة Twelfth Night » و « خير كل ما ينتهى بخير » أو كما يقول العرب «الامور بخواتيمها» All's well that ends well مع ملاحظة أن اكثر هذه الكوميديات ، يرن فيها لحن حزين ، يتخللها فى الحين بين الحين

ولكن هذا اللحن الشجى يبدو على أشده ، فى أشعاره الغرامية الشخصية المسماة « موشحات Sonnets » التى نظمها فى هذه المرحلة وما بعدها ، وقد صار جمعها هى وغيرها فى مجموعة نشرت للمرة الاولى سنة ١٦٠٩ . وقد اتفقت كلمة النقاد على أن هذه الموشحات فى مجموعها تمثل فى اللغة الانجليزية أعمق وأدق وأحر تصوير للحب على اختلاف الوانه ، كما أن العاطفة فى هذه الاشعار ممتزجة بذخيرة كبيرة نفيسة من التفكير الجامع بين البسيط والمركب ، مما يجعلها تبدو صادرة عن تجارب شخصية ، ارتفعت بها عبقرية شكسبير من كونها تجارب فرد واحد الى انها تجارب الانسانية كافة

وفى بداية هذه المرحلة تبدلت حياة شكسبير ، فاصبح غنيا ، ذائع الصيت ، مشمولا بالرعاية الملكية ، محببا الى المجتمع بما فيه صفوة الكتاب والشعراء فضلا عن العلية . كما كان له أصدقاء يناصرونه من الاثرياء حملة الالقاب واصحاب النفوذ والجاه ، مثل اللورد النبيل « اسيكس Earl of Essex » أقرب المقربين واحبهم واحظاهم عند الملكة ، فضلا عن الصديق الحميم الشاب لورد سوثمبتون Earl of Southampton واسمه هنرى وريوثسلى Henry Wriothesley ومثل لورد بمبروك Earl of Pembroke واسمه وليم هربرت William Herbert . ويلاحظ هنا أن هذين اللوردين يبدأ كل من اسميهما الحرفين « و . هـ . W.H. » وهما الحرفان اللذان جاء فى صدر الموشحات ذكرهما فى كلمة الاهداء

وقد كان من شأن ما صار اليه شكسبير من الثروة والمكانة الادبية والجاه ، أن تمكن من سداد ديون الاسرة وانقاذ أبيه من الفاقة ، فضلا عن شراء بعض الارض فى قريته ، واقتناء أحسن دار فيها ، حتى أصبح بين اهليها من علية أبناء البيوتات ذوى اليسار الذين تتجه اليهم الانظار

٣ ـ المرحلة التشاؤمية

١٦٠١ ـ ١٦٠٨

بدأت هذه المرحلة وقد اخذت الظلمات تكتنف حياة الشاعر من كل جانب وكان قد فجع فى عام ١٥٩٦ فى ولده الوحيده « همنت

Hamnet » وهو لم يتجاوز الحادية عشرة من عمره كما رزىء عام ١٦٠١ فى والده الذى رأينا مبلغ اعزازه له . وهذا هو ينكب فى غير مناصريه بسقوط الحظوة التى كانت للنبيل الشاب الشجاع المخاطر روبرت دفرنيه Robert Deverneux لورد اسيكس Earl of Essex عند الملكة العجوز اليزابيث لفشله فى قمع الثورة فى أرلندا ثم عودته فى مارس ١٥٩٩ الى لندن واقتحامه فى ثياب السفر الموحلة باب الملكة دون استئذان فلما اعرضت الملكة عنه واعلنت استياءها خرج وفى نفسه أن يحاول اثارة الشعب عليها ويسقطها ـ كما أثار بعض اللوردات على الملك ريتشارد الثانى وأسقطه ـ ومن أجل ذلك كان اتصال أعوان اللورد اسيكس بفرقة شكسبير لاعادة تمثيل مسرحية شكسبير ريتشارد الثانى بالرغم من الانقطاع عن تمثيلها منذ فترة ، والحوا فى ذلك باعتبار أن موضوعها فيه دعاية للورد اسيكس ضد الملكة . وفعلا قدمت الفرقة مسرحية ريتشارد الثانى فى السابع من فبراير سنة ١٦٠١ وفى اليوم التالى خرج اللورد اسيكس وبعض اصحابه على ظهور جيادهم واجتازوا شوارع لندن يستفزون الشعب الى الانضمام اليه والالتفاف حوله فخاب أمله وحوكم بتهمة الخيانة العظمى وحكم باعدامه وكان نصيب صديقه اللورد سوثمبتن Earl of Southampton

السجن فى برج لندن ؛ ونصيب اللورد بمبروك النفى عن البلاط . كذلك اجرى تحقيق دقيق مع الفرقة وكاد يلحقها من ذلك ما لحق بالاخرين من الاذى والضر لولا أن رأى القائمون بالامر تفشى روح السخط فى الشعب ، ومن ثمة رؤى من الخير أن يطوى الموضوع ويسدل عليه النسيان

من أجل ذلك كانت هذه المرحلة مرحلة المآسى الكبرى ، التى نلمس فيها الكثير من الاشارات من طرف خفى للاحداث المذكورة . ومنها فى هملت الاشارة الى الزمن الذى خرج عن محوره وانخلع عن مفصله ، كما نذكر من قبلها مصرع قيصر على يد انصار الجمهورية وفى طليعتهم بروتس ، ومن بعدها الفواجع فى عطيل ومكبث والملك لير . وكذلك كانت كوميديات هذه المرحلة قاتمة تارة وشديدة المرارة تارة أخرى .

وبالجملة كان شكسبير وقتئذ أكثر انصرافا الى الجانب المظلم من التجربة الانسانية فهو يصور الحياة وقد تداعى فيها دعائم النظام الاخلاقى ، فعم الفساد وجر الى هلاك البرىء والمذنب على السواء ، وفى اكثر الاحيان البرىء قبل المذنب

وكان اخر مسرحيات هذه المرحلة « انطوان وكليوباترة » وهى المأساة الغرامية الكبرى الاخيرة الى جانب المأساة الغرامية الاولى « روميو وجوليت » ، وما اكبر الفارق بين الاثنين . فالغرام فى الاولى غرام الشباب الخيالى ، أما فى الثانية فهو غرام فى سن النضج بين مجرب ومجربة ، فضلا عن ارتباط مصير كل منهما بمصير بلاده نفسها ، بل مصير التاريخ العالمى للشرق والغرب ، مما يخلع على هذا الغرام عظمة اخرى . وفوق ذلك فان الشاعر قد جاء نظمه لهذه المسرحية الغرامية الاخيرة بعد تجربة غرام له بمن يسميها فى أشعاره الشخصية « الموشحات sonnets » السيدة السمراء the black lady وكان وقتئذ فى سن الاربعين وقد استوفى الكثير من تجارب سنه ، فضلا عن بلوغ ملكاته غاية مداها من القوة الدرامية ، والقوة الفكرية ، والقوة البيانية فى التصوير والتعبير

المرحلة الاخيرة

مرحلة التفاؤل والسكينة

١٦٠٨ - ١٦١٣

لما كان شكسبير فى مآسى المرحلة السابقة قد نفس عما كان شاغلا نفسه ، جاثما على صدره من هموم الحياة ، فهو يبدو فى هذه المرحلة الاخيرة وقد ساد الهدوء حياته ، وشاعت فى نفسه السكينة بعد العاصفة عند من خبر الحياة حلوها ومرها ، وعرف الاقدار على اختلاف تصاريفها ، وانتهى من ذلك جميعه الى التسليم والاستقرار

وقد أوى الشاعر الشيخ الى قريته مطمئنا الى حياتها الوادعة ، بعد ما عاشه فى العاصمة من حياة صاخبة . وهنا أنست نفسه الطبيعة فى الريف بمروجها المألوفة وأغنامها الاليفة ، ومن حوله أهل قريته يجدد معهم العهد ، ويعقد بينه وبينهم صلات الود والعطف .

ونحن نرى بساطة القرية واطمئنان الشاعر اليها فى مواضع كثيرة من مسرحيات هذه الفترة ، ومنها المسرحية التى اسماها « قصة الشتاء The Winters Tale » سنة ١٦١١

واخيرا لزم الشاعر الشيخ ما هو حقيق به من الراحة ، مدى سنوات ثلاث الى أن وافاه الاجل فى الثانية والخمسين من عمره فى عام ١٦١٦ فى الثالث والعشرين من ابريل الموافق عيد ميلاده ..

عبدالرحمن صدقى

تمثال شكسبير امام دار البلدية فى بلدة « استراتفورد »

الـــزوبعـــة

شخصيات الرواية

- **الونزو** «Alonso» : ملك نابولى
- **سباستيان** «Sebastian» : اخو ملك نابولى
- **بروسبيرو** «Prospero» : دوق ميلان الشرعى
- **انطونيو** «Antonio» : اخو بروسبيرو ، ومغتصب الدوقية منه
- **ميراندا** «Miranda» ابنة بروسبيرو
- **فرديناند** «Ferdinand» : ابن ملك نابولى
- **جونزالو** «Gonzalo» : مستشار قديم ، امين مخلص
- **كاليبان** «Caliban» : عبد متوحش مشوه الخلقة
- **اريل** «Ariel» : جنى لطيف

بحـــارة .. ربان .. أرواح من الجن فى خدمة بروسبيرو

الـــزوبعـــة

جزيرة منعزلة فى وسط البحر ، ليس فيها من السكان ، الا رجل متقدم فى السن اسمه بروسبيرو ، وابنته الشابة الجميلة ميراندا .. لم يكونا من سكان هذه المدينة أصلا ، وقد أتى بميراندا والدها الشيخ الى هذا المكان ، وهى بعد صغيرة جدا ، ولم تكن وقتئذ لتعى وجه أى انسان سوى وجه أبيها بروسبيرو ..

وكان مأواهما فى هذه الجزيرة الصامتة كهف ، أو صومعة ، منحوت فى قلب الصخر ، وقد قسم الى بضع حجرات . كان بروسبيرو يضع فى احداها كتبه ، ويطلق عليها حجرة المكتب أو المطالعة . وكان فى معظم الاحيان يعالج هناك السحر ، وهو الموضوع الغالب على تلك الكتب . والسحر يومئذ هو النوع الاثير عند معظم أهل الثقافة

ولما كان القدر قد القى به وبابنته فى هذه الجزيرة المقفرة . وهى جزيرة مسحورة بفعل ساحرة عجوز اسمها سيكوراكس ماتت قبل مجيئه بزمن قصير ، فقد رأى الاشتغال بالسحر فنا يجنى منه فوائد جمة ، وهو مقيم فى هذه الجزيرة الغريبة . وبفضل حذق بروسبيرو لفنون السحر ، استطاع ان يخلص مجموعة من الجن الطيبين ، كانت سيكوراكس قد حبستهم داخل جذوع الاشجار الضخمة ، لانهم رفضوا ان يطيعوا أوامرها الشريرة . وتقديرا للمكرمة التى أسداها اليهم بروسبيرو ، آلوا على أنفسهم أن يطيعوه فى كل ما يأمرهم به . وكان على رأس هـــذه الجمـــاعة من الارواح الطيبة ، الجنى الظريف اريل

ولم يكن الجنى اريل ذا طبيعة شريرة ، سوى ما كان يشعر به فى معظم الاحيان من سرور عظيم ، حينما يعذب عبدا بشع الخلقة اسمه كاليبان . فقد كان يحقد عليه حقدا شديدا لانه ابن عدوته العتيدة سيكوراكس

وكان بروسبيرو قد عثر بهذا المسخ كاليبان فى غابة من غابات

الجزيرة • وهو مخلوق مشوه تشويها غريبا ، ضخم الجسم ، قد يكون القرد أدنى الى البشر شبها منه • وشرع بروسبيرو يعلم كاليبان الكلام ، رحيما به أشد الرحمة ، مترفقا به أعظم الرفق • بيد أن طبيعة كاليبان الرديئة التى ورثها فى دمائه ، عن والدته سيكوراكس لم تسمح له أن يتعلم أى شىء من الامور الجميلة النافعة الطيبة •

فاضطر بروسبيرو اضطرارا أن يتخذه كما يتخذه الناس العبيد •• يكلفه قطع الاخشاب واحضارها ، ويسومه الاعمال الشاقة المجهدة • وكان أرييل هو المتئول عن مراقبته والزامه قضاء تلك الخدمات

***

وينبغى أن نذكر هنا أن أرييل كان روحا خفيا لا تراه عين أحد من الناس الا مولاه بروسبيرو • فلما كان كاليبان يتكاسل عن أداء الاعمال المنوطة به ، أو يقعد فيها بدافع الاهمال ، كان أرييل يتسلل خلسة ويقرصه قرصا وجيعا ، وربما دفع به فى ظهره فأوقعه على وجهه فى طين المستنقع ، ثم يتمثل له فى هيئة قرد ، ويأخذ فى اغاظته بحركات مضحكة من وجهه ، ثم يغير من هيئته تلك فيترك شكل القرود الى صورة القنفذ ، فيعترض طريق كاليبان متدحرجا بين قدميه فيصرخ كاليبان رعبا ، خشية ان يخذ القنفذ بشوكه قدميه العاريتين • وبهذه الافانين المحيرة ، كان أرييل يتعقب كاليبان بالتعذيب ، كى يدفعه دفعا الى انجاز ما اسنده اليه بروسبيرو من الاعمال

وبفضل خضوع هذه الارواح القديرة ، وولائها بالطاعة لمشيئة بروسبيرو ، استطاع أن يفرض سلطانه على الرياح والامواج والبحر • وبأمر منه قامت هذه الارواح باثارة نوء عنيف من أنواء البحر • وفى جوف هذه الزوبعة العاتية كانت سفينة عظيمة بديعة الشكل تضطرب مكافحة جبال الموج التى كانت تتهددها فى كل لحظة بالتدمير والابتلاع

ووقف بروسبيرو على الشاطىء يشير لابنته الى ذلك المنظر ، ويقول لها أن تلك السفينة المليحة المهددة بالغرق تقل مخلوقات حية من طرازه وطرازها ، فصاحت ميراندا :

ـ يا أبتاه ! استحلفك يا والدى العزيز أن تستخدم سحرك

وقدرتك فى رفع هذا البلاء رحمة بهؤلاء ، ما دامت هذه الزوبعة الفظيعة قد ثارت باشارة منك • انظر ! ان السفينة توشك أن تتناثر حطاما • يا للنفوس المسكينة ! انهم سيهلكون جميعا • ليتنى أملك السلطان على البحر ، اذن لامرته أن يغور تحت الارض ، أولى من أن تتحطم سفينة جميلة مثل هذه مع من تقلهم من نفوس غالية !

فقال لها والدها بروسبيرو :

ـ هدئى من روعك يا ابنتى ميراندا • فلن يصيبهم بأس ، هذا ما أمرت به ، ولن يلحق بأحد من ركاب السفينة أذى

ـ لماذا اذن يا ابى أمرت العاصفة أن تهدر ؟

ـ من أجلك أنت يا ابنتى العزيزة أثرت الزوبعة !

ـ وكيف يكون ثورانها من أجلى يا أبتاه ؟

ـ انك يا بنيتى تجهلين من أنت ، أو من أين أتيت • ولا تعرفين على شيئا سوى أننى أبوك ، وانتى اعيش فى هذا الكهف الحقير

ـ نعم يا أبى •• ذلك مبلغ علمى

ـ ألا تذكرين يا ابنتى وقتا سلف قبل أن تسكنى هذه الصومعة ؟ اظنك لا تذكرين شيئا • ومن أين لك أن تذكرى وانت قد حضرت الى هنا قبل ان تكملى العام الثالث من عمرك

بيد أن ميراندا أجابت اباها قائلة :

ـ بل انى أذكر زمنا قبل ذلك الزمن

ـ عجبا ؟ ما الذى تذكرينه ؟ أهى صورة بيت أم صورة شخص ؟ قولى يا ابنتى ما تستطعين أن تذكريه

فلبت ميراندا لهفته قائلة :

ـ ان الذى أذكره يتراءى لى وكأنه ما بقى فى النفس من آثار حلم • ولكن ألم يكن ذات يوم أربع أو خمس نساء يقمن على خدمتى ؟

فاجابها بروسبيرو قائلا :

ـ بل كان لك من القائمات على خدمتك عدد اكبر من هذا •• ولكن كيف أمكن لذلك الامر ان يظل حيا فى ذهنك ؟ قولى لى أذن هل تذكرين الطريقة التى أتيت بها الى هنا ؟

فقالت ميراندا :

ـ كلا يا سيدى • لا أذكر شيئا أكثر مما قلت لك

وعندئذ شرع بروسبيرو يحدثها حديث ذلك الزمان الغابر :

ـ منذ اثنتى عشرة سنة يا ميراندا كنت أنا أبوك دوق ميلانو ، وكنت أنت ابنتى الوحيدة أميرة ، والوارثة لعرش الدوقية من بعدى. وكان لى أخ أصغر منى

ـ هو عمى اذن ؟ وما اسمه ؟

ـ هو عمك ، واسمه أنطونيو . وكنت أثق به فى جميع الامور ، وأكل اليه كل شأن . ولما كنت شغوفا بالعزلة والانكباب على الدرس، كثيرا ما كنت أترك ادارة شئون الدولة الى عمك هذا ، أخى المخادع ـ فهذا هو ما اتضح من أمره فعلا ـ وكنت أهمل كل مصالحى الدنيوية لادفن نفسى بين كتبى ، مخصصا وقتى كله لتثقيف عقلى . فلما وجد أخى أنطونيو نفسه قابضا على جميع سلطاتى ، أخذ يعتبر نفسه الدوق حقا وفعلا . وكانت الفرصة التى أتحتها له كى يتمتع بالظهور والشهرة لدى رعاياى ، قد أيقظت فى طبيعته الخسيسة طموحا وغرورا ، ففكر فى اغتصاب دوقيتى منى ، وسرعان ما أقدم على ذلك بمساعدة ملك نابولى ، وهو عامل قوى البأس من أعدائى

وقاطعته ميراندا متسائلة :

ـ ولماذا يا أبى لم يقتلونا فى تلك الساعة ؟

فاجابها أبوها قائلا :

ـ يا بنيتى أنهم لم يجسروا على ذلك ، لان شعبى كان يكن لى حبا عظيما جدا

ـ وماذا فعل عمى كى يتخلص منا ؟

ـ حملنا أنطونيو على ظهر سفينة ، ولما وصلت سفينتنا الى وسط البحر على بعد فراسخ كثيرة من الشاطىء ، أكرهنا على النزول الى زورق صغير ، خال من السكان (الدفة) أو الشراع أو الصارى .وفى ذلك الزورق ، تركنا وفى ظنه أننا هالكان لا محالة

ـ وكيف لم نهلك فعلا يا أبتاه ؟

ـ أن نبيلا من أشراف بلاطى الطيبين اسمه جونزالو ، كان يحبنى كثيرا فتمكن من أن يضع فى ذلك الزورق خلسة ماء وزادا وبوصلة وثيابا ، وطائفة من الكتب التى تبحث فى السحر ، كان يعرف أننى أعتز بها أكثر من اعتزازى بعرش دوقيتى

فتأوهت ميراندا وقالت :

ـ يا ابى المسكين لابد أننى جشمتك مشاقا كثيرة فى تلك الظروف !

فقال بروسبيرو بحرارة :

ـ كلا يا حبيبتى ، فقد كنت ملاكا صغيرا صان حياتى . كنت ملاكى الحارس . وكانت ابتساماتك البريئة تدفعنى الى التجلد لمصائبى . وكان الزاد الذى دسه جونزالو كافيا لغذائنا الى أن هبطنا هذه الجزيرة المقفرة . ومنذ تلك اللحظة كان مصدر سرورى الاعظم هو تعليمك يا ميراندا . وقد حسن انتفاعك بكل ما بذلته من جهد فى هذا التعليم

ـ أجزلت لك السماء ثوابها ، يا أبى العزيز ، على ذلك الجهد الطويل . والان أتوسل اليك أن تخبرنى عن السبب الذى دفعك الى أن تثير هذا النوء البحرى العاصف حول هذه السفينة

فقال أبوها :

ـ اعلمى اذن أن هذه الزوبعة هى التى ستلقى بأعدائى الى يدى

ـ وكيف ذلك يا أبتاه ؟

ـ أن العاصفة ستقذف الى شاطىء هذه الجزيرة بركاب السفينة ، ومن بينهم ملك نابولى واخى الظالم

وقبل أن تفتح ميراندا فمها بكلمة أخرى ، كان بروسبيرو قد مسها بعصاه السحرية مسا رقيقا ، فاستولى عليها نعاس عميق . ثم مثل الجنى أرييل أمام مولاه ، وقدم اليه تقريره عن مجرى العاصفة ، وما فعله بركاب السفينة ...

وانما أقدم بروسبيرو على تنويم ابنته حتى لا تسمع أرييل وهو يحاوره ، ذلك أنها لم تكن ترى تلك الارواح المسخرة فى خدمته ، فلم يستحسن بروسبيرو أن تراه ابنته يتحدث الى الهواء فترتاع ..

وبعد أن سمع بروسبيرو تقرير أرييل قال له :

ـ أواثق أنت أنك أتممت مهمتك على خير وجه ؟

فادل ارييل بوصف رائع حى للعاصفة ، ولالوان الرعب التى استولت على البحارة . وكيف كان فرديناند نجل ملك نابولى هو اول من القى بنفسه الى اليم .. حيث حمله أرييل وهو غير منظور ،

وكيف أن الملك جزع جزعا مجنونا ، لانه خيل اليه انه يرى ابنه العزيز وقد ابتلعته الامواج فهلك ، فسأله بروسبيرو :

ـ وماذا صنعت به ؟

ـ انه سليم معافى ، فى أحد أركان الجزيرة ، جالسا وقد عقد ذراعيه على صدره ، يولول محزونا ، باكيا فقد والده الملك الذى يخاله من الهالكين . لم يصب الامير بسوء ، ولم تمس شعرة من رأسه بضرر . حتى ثيابه الاميرية لم يؤثر فيها موج البحر . فلئن كانت تقطر ماء ، الا أنها تبدو أجمل وأروع مما كانت

ـ هذا عهدى بحصافتك يا أرييل . جئنى به ، لان ابنتى ينبغى أن ترى هذا الامير الشاب . وأين الملك واين أخى ؟

ـ تركتهما يبحثان عن فرديناند ، وأملهما فى العثور عليه ضعيف ، فهما يظنان أنه هلك أمام أعينهما

ـ وبحارة السفينة ؟

ـ لم يغرق منهم أحد ، وان كان كل منهم يظن نفسه نجا من الموت وحده

ـ والسفينة ؟

ـ أخفيتها عن عيونهم فظنوها غرقت ، ولكنها سالمة فى المرفأ !

ـ لقد قمت بالمهمة يا أرييل بكل دقة وأمانة .. ولكن ثمة مزيدا من العمل أرغب فى انجازه

ـ أتقول يا سيدى أن هناك مزيدا من العمل ؟ اذن اسمح لى أن أذكرك يا مولاى أنك وعدتنى بالعتق . أرجوك أن تتذكر أننى خدمتك خدمة جليلة ، ولم أخدعك بالباطل والاكاذيب ، ولم أقترف فى العمل خطأ ، وقمت بخدمتك من غير ضن أو مشاجرة أو ضجر

فصاح به بروسبيرو قائلا :

ـ ماذا تقول ؟ أتقول هذا الكلام الان كأنك لا تذكر أى عذاب مرير ذلك الذى خلصتك منه ؟ هل نسيت الساحرة الشريرة سيكوراكس التى كادت الشيخوخة والحقد أن تجعلاها من فرط الانحناء شخصا مزدوجا ؟ أين ولدت هذه الساحرة ؟ تكلم !

ـ فى الجزائر يا سيدى

ـ أحقا ؟ يبدو لى أنه من الضرورى تذكيرك بالحالة التى وجدت

عليها ما دمت قد نسيت . أن هذه الساحرة الشريرة سيكوراكس لم يستطع أحد من الاحياء أن يتحمل جيرتها بسبب فظائع سحرها التى تقشعر لذكرها الابدان ، فنفيت من وطنها الجزائر . وفى هذه الجزيرة المقفرة تركها الملاحون . ولما لم تستطع أنت لرقة قلبك ونظافة روحك أن تنفذ أوامرها الشريرة ، حبستك فى شجرة .. وهناك عثرت عليك تصرخ وتولول ، فتذكر يا أرييل أننى أنا الذى خلصتك من ذلك العذاب

فخجل أرييل أن يبدو ناكرا للجميل ، وقال :

ـ صفحك يا سيدى العزيز ، وساطيعك فى كلّ ما تأمرنى به

ـ انك أن فعلت سأمنحك حريتك

وبعد ذلك أصدر اليه الاوامر بالتفصيل ، ثم انصرف أرييل ليقوم بتنفيذها بكل دقة وأمانة

***

وكان أول هذه المهام أنه خف الى حيث كان قد ترك فرديناند فى بقعة مهجورة من الشاطىء . فوجده لم يزل جالسا على العشب غارقا فى لجة الاحزان واليأس كما كان

ولما صار أرييل أمامه قال له :

ـ أيها السيد الشاب .. سأنقلك من هنا سريعا ، فانى مكلف أن أحضرك بين يدى مولاتى ميراندا كى تنظر الى شكلك الجميل .. فتعال الان يا سيدى قم واتبعنى ..

وشرع أرييل بعد ذلك يغنى قائلا :

« على عمق خمس قامات كاملة يرقد أبوك !
« ومن عظامه تكونت أحجار المرجان
« واللآلىء .. هى ما صارت اليه عيناه ..
« فلا شىء منه أدركه العفاء
« وانما ناله بالتحوير اله البحر
« فجعله شيئا نفيسا عجيبا
« وها هى ذى حوريات البحر تدق أجراس جنازته
« اسمك ! انى أسمعها الان : دنج ، دونج ، دن »

فكانت هذه الانباء المذهلة عن والده الفقيد كافية لاخراج الامير من

غيبوبة شروده التى كان مستغرقا فيها · ونهض فتبع وهو متعجب مذهول صوت أريل الذى لبث يغنى ·· ليقود خطواته ما دام شكله غير منظور لاعين الناس ، ما خلا بروسبيرو

وهكذا اقتيد فرديناند الى حيث كان بروسبيرو وميراندا جالسين فى ظل شجرة كبيرة

لم تكن ميراندا قد رأت شكل انسان من قبل ما عدا والدها ، فلما صار فرديناند قبالتها قال بروسبيرو لابنته :

ـ يا ميراندا ·· ما هذا الذى ترين هناك ؟

فعرت ميراندا دهشة شديدة ، وقالت :

ـ أبى هذا لا شك روح من الجان ، ألهى ! لماذا يتلفت حوله هكذا كالمأخوذ ؟ صدقنى يا سيدى أنه مخلوق جميل الصورة · أليس جنيا ؟

فقال لها أبوها بجد :

ـ كلا يا بنية ، فانه ياكل ، وينام ، وله حواس كحواسنا · فهذا الشاب الذى ترين أمامك الان كان على ظهر السفينة · وقد غير سحنته الاسى وبعض التغيير ·· والا لرأيت انسانا وسيما !

ـ وفيم أساه يا أبى ؟

ـ لقد فقد رفاقه ·· وانه ليتلفت حوله ، بقصد البحث عنهم ··

وكانت ميراندا تظن جميع الرجال ذوى وجوه متجهمة متغضنة ولحى أدركها المشيب ، على غرار والدها · فسر قلبها جدا لمرأى هذا الامير الشاب الجميل الصورة

وكذلك فرديناند ما أن رأى الانسة الحسناء فى ذلك المكان القفر ، وعلى أثر ما ملأ سمعه من أصوات خفية ، حتى أيقن أنه وقع على جزيرة من الجزائر المسحورة · ولم يشك فى أن ميراندا هى الهة ذلك المكان السحرى · وشرع يخاطبها على هذا الاساس

وبادرت ميراندا ترد على خطابه فى شىء كثير من الحياء لانها أول مرة فى حياتها تحدث رجلا غير أبيها ، فصححت له وهمه ·· قائلة أنها ليست من الالهة ، ولا من الجان ·· وانما هى فتاة من الانس

وأوشكت أن تستطرد فتحدثه بجلية شأنها كله ، لولا أن بروسبيرو قاطعها وحال بينها وبين الاسترسال

والحقيقة أن بروسبيرو سر كثيرا لما رآه من آيات وقوع كل من الشابين من قلب الآخر أحسن موقع ·· وأدرك أن الحب من النظرة الاولى ، كما تقول بلغة عصرنا ، قد ربط بينهما ·· الا أن الشيخ الحكيم عزم على أن يمتحن اخلاص فرديناند وثباته على حبه الوليد ، لهذا قرر أن يضع فى طريق حبهما شيئا من العراقيل

وتقدم بروسبيرو الى الامام خطوة ، ثم وجه الخطاب الى الامير بلهجة صارمة :

ـ أيها الشاب ، ان صدقت فراستى فيك فانت قد نزلت هذه الجزيرة جاسوسا لاهل مملكتك ، بقصد اغتصابها منى أنا مالكها الشرعى · لم تخدعنى أمارات تصنعك ، فاتبعنى ، وسوف أشد وثاق رجليك الى عنقك · ولن يكون شرابك الا من ماء النهر الاجاج ، وأما طعامك فمن الاعشاب المتغضنة والقواقع

فقال فرديناند وهو يستل سيفه :

ـ كلا ·· لن ارضخ لشىء من ذلك ·· ما لم تجبرنى عليه قوة عدو ، لا قبل لى بدفعها !

ولكن بروسبيرو لما رآه يمتشق حسامه حرك عصاه السحرية فسمره فى مكانه ويده يابسة فى الهواء فلبث فى موضعه لا يحير حراكا

وعندئذ أظهر الحب طويته فيما فعلته ميراندا ، اذ اجترأت على والدها صائحة :

ـ لماذا تعامله بكل هذه الفظاظة ؟ رفقا به يا سيدى · وأنا الضامنة له بحياتى · فهو ثانى رجل رأيته فى عمرى · يبدو لى من أول وهلة أنه رجل صدق

فصرخ فيها أبوها قائلا :

ـ صه ! لو نطقت بكلمة أخرى ، فانى قاتلك يا فتاة ·· ماذا أرى ؟ أمحامية أنت عن مغتصب نصاب ؟ أتظنين أن الدنيا قد أقفرت من الرجال الملاح ، لانك لم ترى سواه بعد « كاليبان » المسوخ ، اعلمى اذن أيتها الحمقاء أن معظم الرجال يفضلون هذا الشاب ، مثلما يفضل هذا الشاب « كاليبان »

وكان بروسبيرو يريد بهذا الزعم ، أن يختبر حقيقة عواطف ابنته نحو فرديناند · فكان جوابها :

ـ ان مطامع قلبى متواضعة جدا يا سيدى ٠ فأنا قانعة بهذا الرجل ولا تساورنى رغبة فى أن أرى خيرا منه ٠٠

فالتفت بروسبيرو الى الامير وقال له :

ـ هأنتذا ترى أيها الشاب ، أنه لا طاقة لك بعصيانى ، وأن قوتى كفيلة بقهرك على تحقيق جميع رغباتى ، فاتبعنى ٠٠

ووجد فرديناند نفسه مسوقا بقوة خفية الى اقتفاء خطوات بروسبيرو وقد جرده السحر من كل قدرة على المقاومة ، فقال وهو يرى نفسه يدخل الى الكهف فى أعقاب آسره الشيخ :

ـ ما أعجب هذا حقا ! فانى مسلوب القوة فعلا ، كأنما كل ما فى من حيوية قد احتجز عنى ، أو كأننى فى حلم ٠ ولكن وعيد هذا الرجل وما أشعر به من الضعف ، ليبدو لى كله هينا وأنا فى سجنى ان استطعت من غيابة ذلك السجن أن أملأ عينى مرة فى اليوم من هذه الفتاة الحسناء

ولم يطل حبس بروسبيرو لفرديناند داخل الصومعة ٠ بل سرعان ما أخرجه الى العراء وكلفه بأداء مهمة شاقة ، متحريا أن تعرف ابنته مبلغ ما فى ذلك العمل من مشقة ٠٠ ثم اصطنع الرغبة فى الدخول الى مكتبه ، بيد أنه فى الحقيقة كان يرقبهما خلسة ٠٠

وكان العمل الذى أمر بروسبيرو فرديناند أن يقوم به ، هو تكويم كتل ضخمة ثقيلة جدا من جذوع الاشجار بعضها فوق بعض ٠ ولما كان أولاد الملوك غير مدربين ولا متعودين على العمل اليدوى المضنى ، فسرعان ما رأت ميراندا حبيبها يكاد يهلك من فرط الاعياء ، فقالت له :

ـ لا ترهق نفسك فى العمل فوق طاقتك ٠٠ فوالدى الآن عاكف على كتبه ومطالعاته ، فجانبه مأمون مدى ثلاث ساعات ٠٠ فأدرك قسطا من الراحة

فقال فرديناند :

ـ سيدتى العزيزة ، لا جراءة لى على ذلك ٠ وينبغى أن أفرغ من مهمتى قبل أن أخلد الى شىء من الراحة

فقالت له ميراندا عندئذ :

ـ اجلس أنت ٠ وسأحمل أنا عنك هذه الكتل برهة ريثما تستريح فأبى فرديناند أن يطيعها فى ذلك ، وبدلا من أن تكون ميراندا عونا

له كما أرادت ، أصبحت أداة تعطيل ٠ لان الاحاديث تتابعت بينهما ، فأصبح نقل الكتل الخشبية يجرى بغاية البطء

وكان بروسبيرو ، كما نعلم ، قد كلف فرديناند بذلك العمل ليبلو مقدار محبته لميراندا ٠ ولم يكن طول ذلك الوقت عاكفا على مكتبه كما خالت ابنته ، بل كان واقفا عن كثب منهما ، ولكنهما لا يريانه بفضل حيلته السحرية ، وكان يسمع كل ما يتفوهان به من أحاديث

وسألها فرديناند عن اسمها ، فاحمر وجهها وقالت :

ـ ميراندا ٠٠ وان كان والدى أمرنى أمرا قاطعا ألا أفضى اليك به

فابتسم بروسبيرو ، وهما لا يريانه ٠٠ ابتسم لهذه البادرة الاولى من بوادر خروج ابنته على طاعته ، لانه رأى فى ذلك آية طبيعية من ايات تفتح قلب الفتيات لحب شبان غرباء ٠ ولما كان هو الذى دبر بسحره وقوع ابنته فى الحب على هذه الصورة المفاجئة ، لم يغضب عندما أذهلها الحب عن نواهى أبيها

وأنصت بروسبيرو بعد ذلك وهو فى غاية السرور الى كلام طويل تحدث به فرديناند الى ميراندا ، معاهدا اياها أن يحبها حبا أشد وأسمى من حبه لكل من رآهن فى حياته من النساء

ولما جعل يطرى جمالها ، مقسما أنه يفوق جمال كل نساء العالمين ، كان جوابها عليه بقولها :

ـ أنا لا أتذكر وجه أية امرأة ولا رأيت رجالا سواك أيها الصديق الطيب ووالدى العزيز ، فلا علم لى بأشكال الناس وراء هذا البحر كيف عساها أن تكون ٠ ولكن صدقنى يا سيدى انى لا أشتهى رفيقا لى من بين أهل الدنيا جميعا سواك ٠ ومخيلتى عاجزة أن تصور رسما يمكن أن يهفو اليه قلبى غير رسمك ، ولكن أخشى يا سيدى أن أكون قد انطلقت فى الكلام معك أكثر مما ينبغى ، غافلة عن تنبيهات أبى وتحذيره

وعندئذ ابتسم بروسبيرو ، وهز رأسه جملة مرات ، وقال لنفسه :

ـ ان الامور سائرة على النحو الذى قدرته تماما ٠ وستغدو ابنتى ملكة متوجة على عرش مملكة نابولى

وبعد ذلك شرع فرديناند يحدث ميراندا بعبارة بليغة منمقة ، على أسلوب أهل البلاد والامراء ، فأخبرها أنه الامير الوارث لتاج نابولى ،

وأنه يتمنى أن تكون شريكته فى ذلك التاج وملكته الشرعية

فاختلج صوت ميراندا ، وهى تهتف به فى سذاجة واندفاع :

ـ آه يا سيدى ! ما أحمقنى أن أبكى ما أنا حرية أن أسر له وأفرح ، وأغفر لى أننى لا أعرف من أسلوب الكلام الا ما جرى على السجية من وحى الفطرة البريئة . وأنى بهذا اللسان أقول لك أننى زوجتك ما رغبت فى الزواج منى

فهم فرديناند أن يتعلق بها شاكرا .. لولا أن بروسبيرو حال بينه وبين ذلك بأن ظهر لعينيها فجأة ، وروع الفتى والفتاة ، فقال لابنته :

ـ لا تخافى شيئا يا ابنتى .. فانى سمعت كل ما قلت ، وقد شملته باقرارى . وأنت يا فرديناند ، لئن كنت قد أخذتك من الشدة بما لا طاقة لك به .. فانى معوضك عن ذلك أجزل العوض ، اذ سأهبك ابنتى . ولم يكن كل الذى عانيته الا من قبيل التحقق من حقيقة حبك . وأشهد أنك صمدت للامتحان أصدق صمود . وجائزتى لك على ما برهنت عليه من حب صادق أن تأخذ ابنتى . ولا تهزأ أن تفاخرت بها فجعلتها فوق الذى تثنى به عليها

ثم أخبرهما بعد ذلك أن لديه أعمالا تقتضى حضوره بنفسه ، ورغب اليهما أن يجلسا على سجيتهما للسمر ريثما يعود

وكان هذا الامر أقرب الى قلب ميراندا من سائر أوامره ، فكانت خفيفة النفس الى طاعته فيه

بعد أن غادرهما بروسبيرو فى خلوتهما ، استحضر الجنى آرييل ، فسرعان ما مثل بين يديه ، متلهفا ان يرفع اليه تقريره عما فعله مع شقيق بروسبيرو وملك نابولى . فقال انه تركهما وقد كاد عقلهما يذهب ويغشى عليهما من الرعب للافانين العجيبة التى بهر بها سمعهما وبصرهما ..

ـ تركتهما يامولاى حتى اعياهما التجوال على غير هدى ، وانهكهما الجوع والعطش . وعندئذ بسطت امامهما فجأة مأدبة فاخرة شهية .. وما ان هما بالطعام حتى تراءيت لهما على صورة وحش خرافى شديد الشراهة كاثر الانياب له جناحا عقاب ، وسرعان ما اختفت المائدة فى جوفى . وبعد ذلك اتممت ذهولهما بأن جعلت ذلك الوحش يكلمهما بلسان البشر ، فيذكرهما بما اقترفاه من جور وقسوة يوم

طردا بروسبيرو من دوقيته ، وتركاه وابنته الطفلة يهلكان فى البحر ، وان هذا العذاب الشديد قد حق عليهما جزاء وفاقا لذلك الجرم الخطير . وعندئذ يامولاى اظهر أخوك انطونيو واظهر ملك نابولى الندم على ما اقترفاه من الجور فى حقك ، والحق يا مولاى أن الشفقة أخذتنى بهما مع أننى من الجن ولست بشرا مثلهما ، وأعتقد انهما فى ندمهما صادقين ..

وعندئذ قال له بروسبيرو :

ـ اذن احضرهما الى هنا يا آرييل .. فلئن كنك ـ وأنت الجنى ـ قد أدركتك بهما الشفقة والرحمة ، فكيف لا يرق لهما قلبى وانا مثلهما ؟ أحضرهما على جناح السرعة يا عزيزى آرييل

***

وان هى الا برهة حتى كان آرييل قد عاد ومعه ملك نابولى ، والآخ المخادع أنطونيو ، وفى ركابهما الشيخ جونزالو الذى تبع آرييل مذهولا من تلك الموسيقى الرائعة التى كان آرييل يطلقها فى الجو ليجذبهم الى حضرة مولاه

وجونزالو هذا هو بعينه ذلك الشخص الذى دفعه حبه واخلاصه المكين أن يزود بروسبيرو بالمئونة وكتب السحر الثمينة خلسة ، عندما قام الاخ الخائن الشرير بتركه للمقادير فى زورق صغير فى وسط البحر ، فكانت فى ذلك نجاة بروسبيرو وابنته الطفلة

وكان الاسى والفزع قد غشيا على اذهانهم فلم يعرفوا بروسبيرو . فاهتم أن يكشف حقيقته اولا للشيخ الطيب جونزالو ، وأخذ يدعوه منقذ حياته .. وعندئذ عرف أخوه وعرف ملك نابولى أن هذا هو بروسبيرو المظلوم

وبدمع هتون ، وتذلل حزين ، وندم صادق ، أخذ انطونيو يضرع الى أخيه كى يجود عليه بمغفرته . وعبر الملك كذلك عن ندمه العميق على ما قدمه من العون لانطونيو كى يخلع أخاه ، فصفح بروسبيرو عنهما

وأخذ الاثنان يلحان عليه فى استرداد دوقيته ، فقال بروسبيرو للملك نابولى :

ـ انى لا أصفح عنك فحسب ، بل وادخر لك هنا هدية سنية

ثم فتح بابا فظهر للملك ابنه وولى عهده فرديناند يلعب الشطرنج مع ميراندا !! ..

وما من كلمات يمكن أن تعبر عن فرح الاب والابن الذى لا مزيد عليه بذلك اللقاء على غير انتظار . فكل منهما كان يظن الاخر ذهب طعمة للبحر فى هدير العاصفة

اما ميراندا فجعلت تهتف :

ـ يا للعجب !.. ما أجمل هذه المخلوقات وابهاها !.. لا شك أن عالما يعمره قوم مثل هؤلاء عالم رائع جميل !

وكان اعجاب ملك نابولى وافتتانه بجمال الحسناء ميراندا وبراعة مفاتنها ومزاياها ، لا يقل عن اعجاب ولده بها ، فصاح قائلا :

ـ من هذه الحسناء ؟ يخيل الى انها هى الالهة التى فرقتنا ثم جمعت بيننا على هذا النحو

فأجابه فرديناند ، ضاحكا من وقوع ابيه فى الخطأ عينه الذى أوقعه فيه مرأى ميراندا :

ـ كلا يامولاى .. انها ليست من الالهة ولا الجان ، وانما هى بشر سوى . الا أن عناية السماء جعلتها من نصيبى . فانى طلبت منها يدها وانا احسب انك لست على قيد الحياة حتى استأذنك ..

وهى كريمة بروسبيرو هذا ، دوق ميلانو الذائع الصيت الذى سمعت الكثير عن فضائله ، ولكنى لم أره الا الان . وعلى يده كتبت لى حياة جديدة . ونصب من نفسه أبا ثانيا لى ، اذ منحنى هذه الانسة الجليلة الحسناء

فاجابه الملك قائلا :

ـ لذن يجب أن أكون أباها . وما أعجب أن يتقدم والد الى ابنته يطلب الغفران

فقال له بروسبيرو :

ـ دع عنك هذا .. فما ينبغى أن نعود لذكر ما فات من متاعبنا ، مادامت قد انتهت الى ختام سعيد

ونهض بروسبيرو بعد ذلك الى اخيه فعانقه ، وكرر عليه مواثيق صفحه . ثم التفت الى السماء قائلا :

ـ ان حكمة العناية الالهية التى لايسبر لها غور ، شاءت ان اطرد من دوقية ميلانو الصغيرة كى ترث ابنتى الوحيدة عرش مملكة نابولى .. فلولا انها التقت بالامير فرديناند فى هذه الجزيرة المقفرة ما كتب لقلبيهما أن يربط الحب بينهما برباطه هذا الوثيق

وقصد بروسبيرو بهذه الكلمات الرقيقة ان يسرى عن أخيه ، ولكن هذه العبارات ملأت انطونيو خزيا والما .. فبكى وشرق بكلماته وغص بدموعه . وبكى الشيخ العطوف جونزالو فرحا بهذا الصلح الموفق ، ورفع كفيه الى السماء يستنزل البركات على رأس الحبيبين الشابين

وبعدئذ أخبر بروسبيرو الجميع ان سفينتهم سالمة فى المرفأ وان جميع بحارتها على سطحها ، وأنه وابنته سيصحبانهم الى أرض الوطن فى اليوم التالى .. ثم قال :

ـ أما الان ، أيها السادة فأرجو ان تتناولوا شيئا من الاطعمة التى يستطيع كهفى المتواضع أن يقدمها لكم . واما تسليتكم هذه الليلة فلا املك لها شيئا اكثر من رواية تاريخ حياتى من مبدأ هبوطى هذه الجزيرة المقفرة

ودعا بعد ذلك « كاليبان » كى يهيىء شيئا من الطعام ، ويرتب الكهف لنزول الضيوف .. فدهش الجميع لبشاعة منظر هذا العبد الممسوخ الذى قدمه اليهم بروسبيرو قائلا انه الخادم الوحيد الذى يقوم على حاجاته

وقبل أن يغادر بروسبيرو الجزيرة ، أعفى أرييل من خدمته ففرح أرييل فرحا لا يقدر ، لانه على اخلاصه الشديد وحبه واعترافه بجميل مولاه ، كان حبه لحريته أعظم واشتياقه اليها أشد ، كى يتجول طليق السراح فى الهواء كالطيور البرية تحت الاشجار الخضراء ، وبين أفانين وفوائح الازهار

وقال بروسبيرو للجنى الصغير قبل أن يطلق سراحه :

ـ عزيزى اللطيف الحيلة ، البارع المداخل ، أرييل ! كم سأفتقدك بعد اليوم ، ولكنى مجيبك الى رغبتك ومطلق سراحك

فقال أرييل :

ـ شكرا لك يا مولاى على ما أنعمت به من الحرية . ولكن أرجو أن تأذن لى أن أحف بسفينتك فى طريقها الى أرض الوطن ، وارسل

عليها ريحا مواتية ، ليكون ذلك ختام ما يقدمه اليك جنيك المخلص من عون .. وبعدها ايها المولى انطلق لاحيا فى بحبوحة الحرية ابهج حياة ..

وأنشد أرييل هذه الاغنية بصوت ساحر :

« حيث تمتص النحلة رحيق الزهر ، أمتص أنا

« فى حجر أزهار المراعى يكون رقادى

« وعندما ينطلق نعيق البوم أستلقى وانام

« وعلى ظهر الخفاش أحلق وأطير

« وأطارد أنسام الصيف فى ابتهاج

« بابتهاج اى ابتهاج سوف اعيش الان »

***

ونهض بروسبيرو الى كتب السحر وعصاه فدفنها فى أعماق الثرى ، وقد عزم الا يلجأ الى فن السحر بعد ذلك . أما وقد قهر اعداءه واصطلح مع اخيه وملك نابولى ، فلم يتمنى شيئا تكمل به سعادته سوى العودة الى مسقط رأسه ليسترد دوقيته ، ويشهد زفاف ابنته الى الامير فرديناند ، ذلك الزفاف الميمون الذى قرر ملك نابولى أن تدق له الطبول بكل أبهة بمجرد العودة الى نابولى

وفى رعاية أرييل الامينة ، وصل الجميع الى هناك بعد رحلة ميمونة ..

حلم ليلة صيف

شخصيات الرواية

- ثيسيوس «Thesous» : دوق مدينة اثينا
- ايجيوس «Egeus» : والد هرميا
- ليساندر «Lysander» / ديمتريوس «Demetrius» : عاشقان لهرميا
- فيلوسترات «Philostrate» : مدير المسرات الخصوصية للدوق ثيسيوس
- كوينس «Quince» : نجار
- بوتوم «Bottom» : نساج
- ستارفيلنج «Starvelong» : خياط
- هيبوليتا «Hippolita» : ملكة الامازون وخطيبة ثيسيوس
- هرميا «Hermia» : ابنة ايجيوس، وتعشق ليساندر
- هيلينا «Helena» : تعشق ديمتريوس
- اوبيرون «Oberon» : ملك الجن
- تيتانيا «Titania» : ملكة الجن

ومجموعة كبيرة من الجن اللطاف الطيبين ، والمهرجين ، والزمارين، والمطربين وحاشية الدوق وملكة الامازون خطيبته

حلم ليلة صيف

كان فى مدينة اثينا قانون عتيق جائر ، يخول المواطنين سلطة مطلقة فى اكراه بناتهم على الزواج من أى شخص يختارونه لهن . وكان من حق الوالد بمقتضى ذلك القانون أن يطالب باعدام ابنته ان هى أبت الزواج من الخطيب الذى ارتضاه لها !

ولكن طبيعة الحنان الابوى اقوى من سلطان القانون ، فما من أب كان يسعى الى اعدام ابنته ، مهما بدا من تمردها على ارادته . فظل هذا القانون العتيق حبرا على ورق .. وان كان الآباء يتهددون به بناتهم لمجرد الارهاب وحملهن على الرضوخ لمشيئتهم ..

وحدث ذات مرة أن طلب أب تنفيذ هذه الشريعة القديمة فى ابنته ، وكان ذلك حين مثل شيخ اسمه ايجيوس بين يدى ثيسيوس الذى كان دوق اثينا الحاكم ، شاكيا اليه ابنته هرميا التى أمرها أن تتزوج شابا سليل أسرة اثينية شريفة اسمه ديمتريوس ، فرفضت أن تطيعه فى هذا الصدد لانها تحب شابا اثينيا اخر اسمه ليساندر . وطلب ايجيوس من ثيسيوس تنفيذ القانون الصارم على ابنته العاصية

ودافعت هرميا عن نفسها ، معتذرة عن عصيانها بأن ديمتريوس هذا الذى ارتضاه أبوها خاطبا لها ، كان قد أعلن من قبل حبه لصديقتها العزيزة هيلينا ، وان هيلينا تعشق ديمتريوس الى حد الذهول عن نفسها ، فهى مسلوبة اللب بحبه ..

وكان هذا المبرر النبيل الذى احتجت به هرميا حريا أن يحرك قلب اى انسان ويقنع عقله ، ولكن ايجيوس القاسى لم يأبه ..

ومع أن قلب الامير الرحيم ثيسيوس رق للفتاة الجميلة ، الا انه لم يكن يملك سلطان تغيير قوانين بلده . وكل ما يخوله له القانون هو أن يعطى هرميا مهلة اعذار قدرها أربعة أيام ، تراجع فيها نفسها . وفى نهاية هذه المهلة ، لا مناص من ضرب عنقها ، ان بقيت على رفضها الزواج من ديمتريوس !

وانصرفت هرميا من حضرة الدوق ، وقد أسقط فى يدها ، فتوجهت الى حبيبها ليساندر ، وأخبرته بالخطر الذى أحدق بها . وكيف انها مكرهة على الاختيار بين امرين : اما ان تتخلى عنه فتتزوج ديمتريوس ، واما ان تفقد حياتها فى مدى أربعة أيام

واغتم ليساندر غما عظيما عندما سمع هذه الانباء المشئومة ، ثم تذكر ان له عمة تقيم على مسافة من أثينا ، وان المكان الذى تقيم فيه لا يدخل فى دائرة ذلك القانون الجائر ، فذلك القانون كان مطبقا على مدينة أثينا ولا يتجاوز حدود أسوارها القديمة

واقترح ليساندر على هرميا ان تتسلل من دار أبيها تحت جنح الظلام فتنطلق معه الى دار عمته ، حيث يسعه أن يتزوجها فى غير خشية من غضب ابيها او سطوة قانون المدينة .. واستطرد قائلا :

ـ وسيكون لقاؤنا يا هرميا فى الغابة التى تبعد بضعة أميال عن المدينة . فى هذه الغابة البهيجة التى طالما شهدتنا أنا وانت وهيلينا نتنزه سيرا على أقدامنا فى أبان الربيع

فتقبلت هرميا هذا الاقتراح بفرح عظيم ، وكتمت نية الفرار عن سائر الناس ، عدا صديقتها هيلينا

ولكن هيلينا فتاة سلب الحب رشدها ، وما اكثر ما تقدم الفتيات على حماقات هائلة بسبب الحب .. فمن غير تبصر أو رعاية لعهد الصداقة والوفاء ، نبت فى رأسها أن تمضى الى حبيبها ديمتريوس تخاطب هرميا فتخبره بذلك السر ، مع انها لا يمكن ان تغنم شيئا من افشاء سر صديقتها ، اللهم الا لذة ضعيفة لا غناء فيها ، هى لذة اقتفاء اثر حبيبها الهاجر الخائن لعهدها الى تلك الغابة ، فقد كانت موقنة أن ديمتريوس سيذهب الى هناك فى اثر خطيبته المتمردة هرميا

***

وكانت الغابة التى ازمع ليساندر أن يلتقى فيها بحبيبته هرميا ، هى المتنزه الاثير الذى يرتاده جماعة دقاق الحجم من لطاف الجن ، وكان ملك هذه الطائفة من الجن الصغار هو الملك أوبيرون ، وكانت ملكتهم زوجته الملكة تيتانيا . وفى هذه الغابة كانا وحاشيتهما من صغار الجن والاتباع يعقدان عند منتصف الليل ندوات المنادمة والقصف

واتفق انه كان فى ذلك الحين نزاع قائم بين الملك الصغير والملكة الصغيرة . فلم يكونا كعادتهما يلتقيان فى ضوء القمر ، وفى المماشى الظليلة من تلك الغابة الجميلة ، بل كانا يتعاركان فى انحائها ، حتى يدب الخوف والفزع الى اتباعهم الصغار ، فيلوذون بأكمام الزهر احتماء بها من رشاش المعركة

أما سبب هذا الخلاف المشئوم بين الزوجين الملكين ، فهو اصرار تيتانيا على عدم منح أوبيرون صبيا صغيرا كانت أمه صديقة لتيتانيا . فلما ماتت اختطفت تيتانيا الطفل من مربيته وأتت به الى الغابة فربته فيها

وفى الليلة التى كان مقررا فيها ان يلتقى العاشقان هرميا وليساندر فى تلك الغابة ، حدث أن التقت تيتانيا وهى سائرة بين وصيفاتها بالملك أوبيرون يحف به اعضاء بلاطه من دقاق الجن . فتحرش بها الملك قائلا :

ـ ساء هذا اللقاء فى ضوء القمر أيتها المغرورة تيتانيا !

فأجابته الملكة قائلة :

ـ ماذا تقول يا أوبيرون الموتور ؟ اهذا أنت قد ظهرت ؟.. أيها الاتباع هيا نبتعد عن هذا الطريق ، فانى قد حرمت على نفسى صحبته !

فقال أوبيرون :

ـ على رسلك أيتها المتهورة ! ألست سيدك ومولاك ؟ لماذا تجانب تيتانيا زوجها أوبيرون ؟ اعطنى غلامك الصغير اتخذه وصيفا

فقالت له الملكة بجفاء :

ـ ارح قلبك يا أوبيرون .. فكل مملكتك الجنية لا يمكن ان تكفى ثمنا يغرينى بالتخلى لك عن هذا الغلام ..

ثم استدبرت زوجها الملك فى أنفة ، وفارقته نهبا لغضب شديد ، فجعل يتوعدها قائلا :

ـ امضى فى طريقك اذن .. وقبل أن يبزغ الصبح بأنوار الفجر ، سيكون قد أصابك من جراء هذا التبجح عذاب شديد

وارسل أوبيرون على الفور فدعا اليه مستشاره الخاص ، رئيس المجلس الاستشارى ، والمشير الاثير الى قلبه واسمه پاك

وكان ياك جنيا خبيرا بسرائر النفوس وطرائف الحيل ، بعيد النظر بارع التدبير .. وكان يتسلى بعمل الملاعب المضحكة والمقالب فى نطاق القرى المجاورة للغابة .. فيدخل أحيانا الى حجرات اللبن ، فينزع من خوابى اللبن ما تجمع فيه من قشدة ويترك اللبن مخيضا رائبا لازبدة فيه . وأحيانا أخرى كان يفاجىء الفلاحة وهى تخض القشدة لتصنع منها زبدا . فيسلط اشعة كيانه الهوائى على قربة الخض ، ويرقص رقصاته الجنية فى القربة ، فيطول جهد الفلاحة المسكينة حتى تكاد تتهاوى من طول الخض ، ولا تصل الى ثمرة من تعبها ، وتبقى القشدة على حالها لا تتماسك !

أما صانع الجعة فى القرية فلم يكن أسعد من القروية حالا ، فكما يفسد الزبد ، يفسد أيضا قدور الجعة ، فيلقى فيها بقرونه فتتخثر ..

واذا اجتمعت طائفة من الجيران للمنادمة ، ووضعوا بينهم خابية خمر ، يتخذ ياك صورة سرطان البحر (أبو جلمبو) ويغوص فى الخمر ، حتى اذا هم أحد الندامى ، أن يعب من الخمر ، قفز الى شفته العليا فقرصها ، فينسكب الخمر على ثيابه !

وحينما تجلس الجدة العجوز على كرسيها المنخفض لتحكى لاحفادها الصغار المجتمعين حولها قصة حزينة مؤسية ، يجذب ياك الكرسى الصغير من تحتها ، فتسقط العجوز على الارض ، ويضحك منها احفادها حتى تكاد تنفجر جنوبهم من شدة الضحك ، ويقسمون انه لم تتفق لهم ساعة سرور كهذه الساعة

هذا هو كبير مستشارى الملك أوبيرون ، والى ملاعيبه ومقالبه التى يحيى بها لياليه ، التجا الملك كى يلتمس لديه انتقاما يشفى غليله من تيتانيا

ـ اقترب يا ياك .. ايتنى بتلك الزهرة العجيبة التى تسميها الفتيات « زهرة الحب والكسل » فعصارة هذه الزهرة الارجوانية الصغيرة لها مفعول سحرى . فاذا وضعت منها قطرات على جفن نائم ، جعلته متى استيقظ وفتح عينيه ، يشغف حبا بأول شىء ينظر اليه . فانى أنوى أن أضع شيئا من عصارة هذه الزهرة على جفن تيتانيا وهى نائمة ، كى تغرم بأول شىء تراه حين تفتح عينيها ، حتى ولو كان ذلك الشىء أسدا أو دبا أو قردا أو نسناسا . ولن أرفع عن بصرها هذه اللعنة

برقية أخرى سحرية اعرف وحدى سرها ، الا بعد أن تنزل لى عن ذلك الغلام فاتخذه وصيفا

وفرح ياك بهذه المهمة ، فهو يحب نزعات الشر والعبث ، فما بالك والعبث يصنعه ملك ، وضحية العبث ملكة ؟

اسرع ياك اذن ليأتى بالزهرة السحرية ، ولبث أوبيرون ينتظر أوبته

***

لمح أوبيرون ، ، وقد طال انتظاره واصابه ضجر ، شبحين يتسللان الى الغابة ، هما ديمتريوس وهيلينا ، وطرق سمعه كلام ديمتريوس وهو يلوم هيلينا لانها تبعته الى هناك ، وكان ديمتريوس عنيفا فى الفاظه قاسيا فى تقريعه . وجعلت هيلينا تتقرب اليه بأرق الالفاظ ، وتذكره بسابق حبه وعهوده لها أن يبقى مخلصا ما عاش لذلك الحب ، ففضب ديمتريوس وصاح بها وهو يبتعد عنها حانقا :

ـ لأتركنك هنا وحدك تحت رحمة الوحوش الضوارى !

فنال منها الذعر ، وراحت تعدو خلفه بأسرع ما استطاعت ..

وكانت فى ملك الجن أوبيرون رقة شديدة تحفزه الى العطف على المحبين الصادقين ، فشعر باشفاق شديد على هيلينا ، وربما كان أوبيرون يذكر ذلك العهد السالف الذى كان فيه العشاق الاربعة يرتادون هذه الغابة للنزهة فى ليالى الربيع ، فليساندر يصحب هرميا ، وديمتريوس يصحب هيلينا . ومهما يكن من شىء فان أوبيرون اعتزم أمرا .. وما أن عاد ياك بالزهرة القرمزية الصغيرة ، حتى قال له أوبيرون :

ـ خذ جانبا من هذه الزهرة .. فقد كانت هنا آنسة أثينية حسناء يعذبها حب شاب غادر . فاذا وجدته نائما فاعصر فى عينيه شيئا من رحيق الحب . ولكن اجتهد أن تصنع به ذلك ، وعشيقته بالقرب منه ، كى تكون هى أول شىء تقع عليه عيناه

ولكن انى لى أن أعرف ذلك الرجل يا مولاى ؟

ـ ستعرفه بثيابه الاثينية

فوعد ياك ان يقوم بهذه المهمة بكل لباقة ، ثم انصرف أوبيرون ليصنع بتيتانيا ما اعتزمه من العبث ، وقد تخفى عن عينيها بوسيلته السحرية وكانت قد ذهبت للنوم تحت مظلة ، عرش عليها الزهر بجانب جدول تنبت فيه الرياحين البرية والبنفسج العطر وأزهار المسك والياسمين

فهناك كانت تيتانيا تحب ان تقضى جانبا من الليل ، وتتخذ لنفسها غطاء من جلد ثعبان أرقش ..

وجد أوبيرون تيتانيا قد أصدرت أوامرها الى اتباعها ، وكلفتهم أعمالا يؤدونها أثناء نومها ..

ـ عليكم ان تقتلوا بلا رحمة اكبر عدد من الخفافيش ، كى اصنع من أجنحتها معاطفى . وليقم فريق منكم بالحراسة اليقظة ، ليبعدوا عنى البوم الناعق ، فحذار أن يقترب منى هذا الداعى الساهر ، ولكن قبل هذا وذاك غنوا لى جميعا حتى انام .. انشدوا لى اعذب الانغام ..

« ايتها الثعابين الرقطاء ذات اللسان المزدوج
« وانت ايها القنفد ذو الاشواك .. اختفوا عن الانظار
« ايتها الديدان العمياء لا تخطئى ..
« فتقتربى فى تخبطك من مليكتنا الحسناء
« وانت ايها البلبل الفرد ..
« ترنم بأغانى المهد العذاب
« وهدهد من غير أذى
« ومن غير سحر او رصد
« نامى يا مليكتنا المحبوبة ..
« وطاب مساؤك »

فلما فرغ الجن من الغناء لمليكتهم النائمة، غادروها ليؤدوا الاعمال الهامة التى كلفتهم بها ، وعندئذ اقترب منها أوبيرون متسللا ، ووضع شيئا من رحيق الحب على جفنيها وهو ينشد :

« أول من ترينه ساعة يقظتك
« اتخذيه لك معشوقا بلا وناء »

***

ونعود الى هرميا التى كان مقررا ان تهرب من دار أبيها تلك الليلة كى تنجو من الموت جزاء رفضها الزواج من ديمتريوس

لقد تمكنت هرميا من الهرب فعلا ، ولما دخلت الغابة وجدت حبيبها الغالى ليساندر فى انتظارها لكى يصحبها الى دار عمته ، واخذا فى السير مخترقين الغابة ، وقبل ان يقطعا نصف الطريق بين أشجارها

شعرت هرميا بتعب شديد .. ولا عجب ان يجزع ليساندر لشكواها فهو شديد الاحتفال بهذه الحسناء التى أثبتت شدة وفائها لحبه ، مجازفة فى سبيل ذلك بحياتها .. فأقنعها ان تركن للراحة حتى الصباح فوق بساط من العشب الناعم على شاطىء جدول . ثم اضطجع هو على الارض على مسافة قريبة منها ، ولم يلبثا حتى استغرقا فى النعاس

وعلى هذه الصورة ، وفى ذلك المكان عثر بهما پاك .. فلما رأى امامه شابا وسيما نائما ، ووجد الثياب التى عليه مصنوعة على الطراز الأثينى ، ورأى بالقرب منه شابة حسناء نائمة . استنتج أن هذه ولاشك هى الفتاة الأثينية وهذا صاحبها الذى غرر بها ، كما وصفهما له ملك الجن اوبيرون

وكان طبيعيا ان يقدر پاك ، ما دامت الفتاة نائمة عن كثب من الفتى، انها ستكون أول ما تقع عليه عيناه حينما يستيقظ . فلم يضع وقتا فى البحث ، وصب شيئا من عصارة الزهرة القرمزية الصغيرة فى عينى الشاب . وتشاء المصادفه أن تمر هيلينا بعد قليل من هذا المكان ، وان تكون هى اول ما فتح عليه ليساندر عينيه ، وليست هرميا ..

ومن الغريب ان ذلك العصير السحرى كان من القوة بحيث تبدد كل ما كان يكنه من الحب لهرميا ، وعشق ليساندر هيلينا من كل قلبه

والواقع أنه لو كانت هرميا هى أول من رآه ليساندر عند يقظته ، كما رتب پاك الامر ، لما كانت للعصارة السحرية فائدة . لانه كان يحبها اصلا حبا عظيما ، والزيادة فيه ليست مما يستكثر على فتاة لها فضائل هرميا . ولكن الذى وقع لليساندر من السحر ، بحيث اجبره على التحول عن حبيبته المخلصة كى يتعلق بفتاة اخرى ، فتبعها تاركا هرميا مستغرقة فى النوم بمفردها فى غابة موحشة فى منتصف الليل، فذلك والحق يقال أمر يؤسف له كثيرا

***

وقد حدثت هذه الكارثة على النحو التالى ، فان هيلينا اخذت تجرى وراء ديمتريوس بعد ان أغلظ لها القول وابتعد عنها ، ولكنها لم تستطع ان تلاحقه فى سرعة الجرى ، فليست للنساء قدرة على الجرى الطويل كالرجال ، فسرعان ما غاب ديمتريوس عن نظرها ، وراحت هى تتجول فى الغابة على غير هدى مقهورة محسورة ، الى ان وصلت الى الموضع الذى افترشه ليساندر فصاحت :

ـ عجبا ! هذا ليساندر ملقى على الارض . أهـــو ميت يا ترى ام نائـــم ؟

ثم لمسته برفق شديد وقالت :

ـ سيدى الفاضل ، ان كنت على قيد الحياة فاستيقظ

ففتح ليساندر عينيه ، وفى الحال فعل السحر مفعوله .. فأخذ يوجه اليها الخطاب بالفاظ مسرفة فى الغزل والهيام

ـ اى هيلينا ! لا تذكرى لى هرميا ، فانك تفوقينها فى الحسن اكثر مما يفوق جمال الحمامة المطوقة قبح الغراب ! انى مستعد ان اخوض فى سبيل جمالك السنة النيران ، وأتحدى أشداء الابطال

وما الى ذلك من الفاظ التشبيب والوجد .. ولما كانت هيلينا تعرف ليساندر حبيب صديقتها هرميا ، وانه قد تعهد باليمين المغلظة ان يتزوجها ، ثار غضبها الى ابعد الحدود عندما سمعته يكلمها بهذه اللغة ، وخطر لها بطبيعة الحال ان ليساندر يعبث بها ، فقالت له :

ـ ويحى ! لماذا ولدتنى امى ؟ الكى اكون هدفا للسخرية والزراية من كل انسان ؟ اليس يكفى ايها الشاب اننى لم اعد استطيع الظفر بنظرة رقيقة او كلمة لينة من ديمتريوس ؟ وهل ينقصنى ان تقدم انت ايضا يا سيدى على النيل منى بهذا الغزل التهكمى ؟ صدقنى ياليساندر ، اننى كنت اخالك قبل اليوم سيدا صادق المروءة

وما ان ألقت اليه بهذه الكلمات فى غيظ شديد حتى أسرعت تجرى مبتعدة عنه ، فأسرع ليساندر خلفها يتبعها ، وقد نسى حبيبته هرميا التى لم تزل غارقة فى نومها !

ولما استيقظت هرميا من نعاسها ، ووجدت نفسها وحيدة فى ذلك المكان الموحش من الغابة ، ادركها فزع شديد ، وهامت على وجهها فى الغابة باكية ، لان القلق استبد بها على مصير ليساندر ، لاتدرى اين ذهب ولا اين عساها ان تجده

وفى هذه الاثناء كان ديمتريوس قد فشل فى العثور على هرميا وعلى منافسه ليساندر ، وادركه الكلل من ذلك البحث الذى لا غناء فيه ، فلمحه أوبيرون غارقا فى النوم فى ظل شجرة

وكان أوبيرون قد عرف من استجواب پاك انه وضع العصارة السحرية فى عين شخص غير الشخص المطلوب ، فلما رأى امامه ذلك الشخص

نائما ، اسرع يصلح خطأ پاك ، ووضع من رحيق الحب فى جفنى ديمتريوس

ولما فتح ديمتريوس عينيه كان أول شخص بصر به هو هيلينا ، ففعل معها ما فعله ليساندر من قبل ، اذ راح يطاردها الغزل . وبعد قليل مر من هناك ليساندر ومن ورائه هرميا تطارده وهو يهرب منها ، وهكذا اجتمع الاربعة على صورة غريبة . فليساندر وديمتريوس يبثان فى نفس واحد وبحماسة متشابهة غرامهما الى شخص هيلينا ، لان كليهما كان واقعا تحت تأثير العصارة السحرية القوية !

ودهشت هيلينا بطبيعة الحال ، وظنت ان ديمتريوس وليساندر وصديقتها العزيزة القديمة هرميا ، قد اتفق ثلاثتهم وتآمروا على السخرية منها

واذا الفتاتان اللتان كانتا من قبل اعز صديقتين ، وقد شجر بينهما الخلاف وشرعتا تتبادلان أقبح النعوت وأوخم الالفاظ

قالت هيلينا :

ـ ايتها القاسية هرميا . انك انت التى وسوست الى ليساندر أن يتصدى لى بالتهكم فى قالب الثناء . وأوحيت الى عاشقك الآخر ديمتريوس الذى كان يركلنى دواما بقدمه ان ينادينى ساخرا بالحورية والمعبودة الغالية والمخلوق السماوى ! فما كان ليخاطبنى ـ وانا التى يمقتها ـ لو لم تغره أنت ان يعبث بى ، انها لقسوة منك يا هرميا مرذولة ان تتحالفى مع الرجال فى الزراية بقدر صديقتك المسكينة ، أتراك قد نسيت زمالة المدرسة ؟ وكيف كنا نجلس فى كثير من الاحيان على وسادة واحدة ، نغنى معا اغنية واحدة ، وابرتانا تطرزان زهرة واحدة على منسج للتطريز واحد ؟ لقد كبرنا معا كما تنبعث زهرتان على عود او كفلقتين من ثمرة لا يكاد الانسان يفرق بينهما . ان سلوكك هذا يا هرميا ليس فيه شىء من شيم الصداقة او سجايا العذارى ، وانت تؤازرين الرجال على النيل من صديقتك وهى فى محنتها

فأجابتها هرميا قائلة :

ـ انى لفى دهشة من كلماتك العنيفة وعباراتك النابية ، فما أهنتك قط ، انما انت التى ترمين فيما يبدو الى اهانتى والنيل منى

فصرخت هيلينا قائلة :

ـ يا للمظهر الخادع الزائف الصدق والجد ! وانى لاعلم انك تخرجين لسانك لى حين ادير لك ظهرى ، ثم تتبادلين الغمزات مع صاحبك ، لو ان فى قلبك ذرة من الرحمة او الرفق او الخلق الحميد لما فعلت هذا بى !

وفى الوقت الذى استغرقت هيلينا وهرميا فى هذا الحوار المحتدم ، انتهز ديمتريوس وليساندر هذه الفرصة فابتعدا عنهما ليحتكما فى تنافسهما على حب هيلينا الى حد السيف ..

ولما وجدت الفتاتان ان الشابين غادراهما ، افترقتا هما ايضا ، وراحتا تهيمان على وجهيهما حزينتين فى الغابة ، بحثا عن حبيبيهما

وطوال المنظر السابق كان أوبيرون ملك الجن ومستشاره پاك مختفين عن الانظار يتسمعان الى ذلك الشجار . فلما انصرفت الفتاتان قال الملك اوبيرون لمستشاره پاك :

ـ أعن اهمال أحدثت هذه الوقيعة والاضطراب ، أم تراك فعلتها عمدا وصدرت فيها عن سوء طويتك ؟

ـ صدقنى يا ملك الاشباح الخفية انها كانت غلطة جاءت عفوا ، الست جلالتك قد ذكرت لى العلامة التى اعرف بها ذلك الشاب ، وانها ارتداؤه ثيابا آثينية ؟

والرجل الذى وضعت فى جفنيه العصارة السحرية فيه هذه العلامة ومهما يكن من امر فانى لست آسفا لما حدث ، لان ذلك الحرج والالتباس يتيح لنا تسلية من طراز فذ ممتاز ، فلا تأسف أيها الملك

ـ انك قد سمعت كما سمعت أنا ان ديمتريوس وليساندر ذهبا ينشدان مكانا يصلح للمبارزة ، وانى آمرك ان تغشى على الليل بحجاب من الضباب كثيف . وان تضلل هذين العاشقين المتنافسين فى غيابة الظلام والضباب حتى لا يستطيع احدهما ان يعثر بصاحبه . وآمرك أن تزيف صوت كل منهما للاخر . وتستدرجهما بعيدا حتى يبلغ بهما الكلام مبلغا لا يستطيعان بعده نقل القدم

ـ كل هذا هين على كما تعلم يا مولاى

ـ ومتى استغرقا فى النوم ، صب هذه العصارة المضادة للحب فى عينى ليساندر حتى اذا افاق ألفى نفسه قد شفى من غرامه الحديث لهيلينا فيعود الى غرامه القديم بهرميا ، وبهذا نهدى السعادة والهناء الى كل من الحسناوين ،

فتفرح بالرجل الذى تعلق به قلبها . وستظنان أن المحنة التى مرتا بها كانت من أضغاث الاحلام . عجل يا پاك بما أمرتك به ، وسأذهب أنا لأرى أى مخلوق جميل وفقت الى الابتلاء بحبه عزيزتى تيتانيا ، اذهب

***

وانطلق أوبيرون الى حيث كانت تيتانيا نائمة ، فوجدها لم تزل غارقة فى النعاس ، ثم أبصر بالقرب من موضعها مسخا من المهرجين ، كان قد ضل طريقه فى الغابة ، فاستسلم للنوم . فقال أوبيرون فى نفسه :

ـ ما أحرى هذا المخلوق أن يكون هو الذى تبتلى بحبه تيتانيا ، فتضحى أضحوكة لشعوب الجن اجمعين

ثم ألبس المهرج النائم رأس حمار ميت ، فكأنما هى من شدة ملاءمتها لشكله قد نبتت من بين كتفيه حقا !

ومع أن أوبيرون كان محاذرا جدا فى حركته وهو يثبت رأس الحمار للمهرج ، أيقظته الحركة فنهض ، ولكنه لم يتنبه الى ما فعله به أوبيرون ، وتوجه الى العريشة المزهرة التى كانت الملكة تيتانيا نائمة تحتها

وفتحت تيتانيا عينيها ، فأخذت العصارة السحرية تفعل فيها على الفور فعلها . واذا بها تصيح فى روعة الاعجاب والتزلف :

ـ أى ملك كريم هذا الذى أرى ؟

ومدت اليه ذراعيها متوسلة كالمتعبدة وسألته :

ـ ألك من الحكمة مثل الذى تتمتع به من الجمال ؟

فأجابها المهرج المعتوه بغير اكتراث :

ـ وما حاجتى للحكمة يا سيدتى ؟ لئن اتفق لى من الذكاء ما يكفينى للخروج من متاهة هذه الغابة ، لحسبتنى نلت فوق مطمعى من العقل

فارتاعت الملكة العاشقة المتيمة لما سمعته من تفكير معشوقها فى الخروج من الغابة بأى ثمن وصاحت فى وجهه :

ـ اياك اياك ! لا تفكر فى الخروج من هذه الغابة ، فأنا لست جنية من غمار الجن ، وانى أحبك ، فتعال معى وسأنعم عليك من الجن بعبيد وخدم وحشم

ثم نادت الملكة اتباعها باسـماء غريبة منها زهرة البسلة ومنها نسيج العنكبوت ومنها بذرة الخردل ومنها السوس ، ثم قالت لهم :

قفوا أنفسكم على خدمة هذا الشاب الوسيم ، اقفزوا بين يـديه وحفوا بقدميه ، وأطعموه العنب والمشمش ، وأسرقوا اقراص الشهد من خلايا النحل

والتفتت الى المهرج وقالت :

تعال الآن اجلس معى ، هنا بجانبى ، ودعنى أداعب خديك الجميلين المكسوين بهذا الشعر الناعم ، يا جحشى الجميل ! ودعنى أروى هيامى بتقبيل أذنيك الجميلتين الطويلتين يا بهجة قلبى !

فلم يلتفت المهرج المعتوه لغزلها الحار ، ولا لجمال الملكة البارع ، وانما كان الذى يشغل نفسه كلها هو الفرح الساذج الغامر بجيش اتباعه وخدمه ، فصاح :

ـ أين هو المدعو زهرة البسلة ؟

فاجابه زهرة البسلة ، وهو ينحنى بقامته الصـغيرة امام مولاه الحمارى الرأس :

ـ لبيك يا مولاى !

فأومأ اليه المهرج برأسه فاهتزت أذناه وقال :

ـ قم فاهرش لى رأسى !

ثم التفت مرة اخرى الى الباقين وقال :

ـ وأين المدعو نسيج العنكبوت ؟

فقفز الجنى الصغير منفردا عن رفاقه وقال :

ـ أفندم يا مولاى

فغمز له المهرج بعينه الكبيرة ، وقال :

ـ كلف نفسك يا خيط العنكبوت أن تقتنص لى هذه النحلة الشغالة الحمراء التى أراها على قمة هذه العوسجة ، ثم احضر لى حقيبة العسل التى تحملها على ظهرها ، كلا يا خيط العنكبوت لا تزهـق نفسك فى المطاردة هكذا واحذر ان تتمزق حقيبة العسل ، شكرا لك على همتك

ثم التفت مرة أخرى الى الحاشية وقال :

ـ وأين هو هذا المسمى حبة الخردل ؟

فانبرى حبة الخردل واقفا ، وقال :

ـ هانذا يا مولاى ، ما هى رغبتك السامية ؟

ـ لا شىء ، كل ما أريده يا حبة الخردل أن تتكرم فتساعد زهرة البسلة فى اجراءات الهرش !

ثم مسح بيده على وجهه فلم يتنبه الى التغير الذى حدث له ، بل قال ببلاهة معلقا على الملمس الغريب الذى وجده :

ـ يبدو يا حبة الخردل أنه يحسن بى أن أذهب الى الحلاق . فقد بدأ الشعر يغطى صفحة وجهى

ومرة أخرى بذلت الملكة جهـدها لتسـترعى انتباهه الى عواطفها فقالت :

ـ يا حبيبى الجميل ماذا تحب أن نقدم لك فتأكل ؟ ان عندى من الجن ذوى الجسارة من يأتونك بقطعان السنجاب أو بشىء من الجوز الطازج

بيد أن المهرج عندما لبس دماغه رأس الحمار ، أصبحت له أيضا شهية الحمير ، فأشاح بوجهه عن هذه المآكل الفاخرة مستاء وقال :

ـ كلا ، أفضل أن يأتونى بحفنة من الشعير المجفف ، أو الفول المجروش ، وأريد أيضا من فضلك أن توصى أصحابك هؤلاء كى لا يزعجونى ، لانى أريد أن أنام ..

وأدار للملكة ظهره ، ولكنها أسرعت تقول :

نم يا حبيبى نم ،ولكنى سأريحك بين أحضانى ، استقر هكذا بين ذراعى لتنام مستريحا ، كم أحبك ! أنا متيمة بك !

فلما رأى ملك الجن ذلك المهرج الممسوخ نائما بين أحضان ملكته ، أظهر نفسه لها ، وتقدم منها فوبخها لانها تمنح محبتها بهذا الاسراف لجحش !

ولم تحاول أن تنكر التهمة ، لان المهرج كان نائما بين ذراعيهـا فعلا ، وقد توج رأس الحمار بأزهار نسقتها له بيديها !

ولبث أوبيرون يغيظها ويسخر منها برهة طويلة . ثم طلب منها مرة أخرى ذلك الغلام ليتخذه وصيفا ، فلما وجدت نفسها متلبسة بالجرم بين يدى مولاها ، خجلت ولم تجرؤ هذه المرة على الرفض .. واذ حصل أوبيرون على الغلام الذى طالما رغب فى الحصول عليه ،

أخذته الشفقة على تيتانيا من هذا المأزق السخيف الذى دفعها اليه بيده ، فالقى شيئا من العصارة المضادة للحب فى عينيهـــا ، وعلى الفور استردت الملكة رشدها ، وعجبت اشد العجب من أقدامها على ذلك الحب الشاذ ، وامتلأ قلبها بالنفور الشـديد من ذلك المهرج الممسوخ

وعلى الاثر نزع أوبيرون رأس الحمار عن دماغ المهرج ، وتركه يتم نومه برأسه التى جعلها الله له ، وتم الصلح الـكامل بين أوبيرون وتيتانيا ، فأخذ يقص عليها حكاية العشاق الاربعة ، وما نشب بينهم فى منتصف الليل من نزاع ، فقررت أن تذهب معه ليريا بنفسيهما خاتمة تلك القصة ..

***

وانطلق الملك والملكة ، فوجدا العشاق الاربعة وقد ناموا على ربوة معشبة لا يبعد أحدهم عن سائرهم كثيرا ، لان پاك استطاع ببراعته ان يكفر عن خطئه السابق ، فدبر الامر بكل اجتهاد بحيث أتى بكل واحد على حدة الى البقعة نفسها من غير أن يدعه يشـعر بوجود الآخرين ..

وبعناية وحرص توصل ايضا الى انتزاع السحر من عينى ليساندر بتلك العصارة المضادة للحب التى اعطاه الملك أوبيرون اياها

وكانت هرميا أول من استيقظ . فرأت حبيبها ليساندر المفقود نائما بالقرب منها . فحسبته قد فعل ذلك عمدا ، وجلست تنظر اليه متعجبة اشد العجب من تقلب أهوائه

وفى تلك اللحظة فتح ليساندر عينيه . فلما رأى أمامه حبيبتـه هرميا ، ثاب الى رشده ، وبعودة رشده اليه ، عاد اليه ما كان يملأ جوانب نفسه وفكره من حب هرميا

وأخذ الاثنان يتحدثان عما وقع من المغامرات الغـريبة فى تلك الليلة ، وتطرق اليهما الشك أن تكون هذه الاشياء قد حدثت فعلا ، أم تراهما كلاهما كانا يحلمان حلما واحدا محيرا مزعجا ؟

وعند ذلك استيقظت هيلينا وديمتريوس ، وكان النوم العميق قد أتى على غضب هيلينا ، فأنفثأ وتبدد ، وهدأ ما كان ثائرا لديها من لواعج الغيظ ، فأخذت تصغى بسرور الى اعترافات ديمتريوس بحبه

لها ، وكم ادهشها وسرها أن تشعر فى نفسها بصدق حديثه

وبذلك تلاشى ما كان هناك من تنافس بين الحسناوين فى غضون تلك الليلة ، وعادتا الى ما كانتا عليه من قبل ، صديقتين حميمتين

اما ما تطاير بينهما فى غضون ذلك الخلاف من قوارص الـكلم فسرعان ما غفرتاه ، وجلستا تتشاوران بكل صفاء وهدوء فيما ينبغى ان تفعلاه فى موقفهما هذا

وبعد أخذ ورد استقر الرأى أخيرا على الحل الموفق السعيد ، فما دام ديمتريوس قد عدل عن طموحه الى عقد زواجه على هرميا ، فمن واجبه أن يسعى الى أبيها ليقوم ذلك الوالد القاسى باسقاط عقوبة الموت الجائرة التى كان قد استصدرها من الدوق

واستعد ديمتريوس للعودة الى أثينا كى يقوم بذلك السـعى المحمود ، الذى أضحى بحكم الوضع الجديد ضرورة محتومة ، واذا بالجميع يفاجأون بأمر لم يخطر لهم بالحسبان ..

ولم تكن هذه المفاجأة الا قدوم ايجيوس والد هرميا الشيخ ، الى الغابة يتعقب آثار ابنته الهاربة

ولما عرف ايجيوس من لسان ديمتريوس انه لا ينـوى الان ان يتزوج ابنته ، لم يجد داعيا للمعارضة فى زواجها من ليساندر ، ولكنه جعل موافقته على ذلك الزواج مشروطة بشرط واحد وهو أن يتم الزواج فى اليوم الرابع من ذلك التاريخ ، فذلك هو الموعد الذى كان محددا لتنفيذ حكم الاعدام على هرميا ، لاصرارها على الزواج من ليساندر !

وازاء ذلك الحرص ، قبلت هيلينا أيضا أن يكون زفافها الى حبيبها ديمتريوس العائد الى حظيرة الوفاء فى ذلك اليوم الرابع . كى يكون حفلا مشهودا وزواجا مزدوجا

وكان ملك الجن والملكة يشهدان هذا المنظر من غير أن يراهمـا أفراده من البشر ، فلما رأيا تلك النهاية السعيدة لقصة هـؤلاء العاشقين ، وما كان للملك أوبيرون من سعى مشكور ، واحتيـال مبرور ، فى الوصول الى ذلك الختام الطيب ، فرحا فرحا عظيما وقررا أن تشترك مملكة الجن بأسرها فى احياء هذين العرسين بأبدع الالاعيب

وأبرع الوان القصف التى يحسنها مهرة الجن

***

واذا كان أحد يضيق صدره بحكاية كهذه تسيطر عليها الاعيب الجن ، ويرفض تصديق تلك الاعاجيب ، فلا عليه أن يحسبها مما يراه النائم فى هجعه بليلة من ليالى الصيف صافية السماء رائقة الهواء

قصة الشتاء

شخصيات الرواية

- **ليونتس** «Leontes» : ملك صقلية
- **ماملیوس** «Mamillius» : امير صقلية الشاب
- **كاميلو** «Camillo»
- **انتيجونس** «Antigonus» : اربعة من نبلاء صقلية
- **كليومينيس** «Cleomenes»
- **ديون** «Dion»
- **بولكسينيس** «Polixenes» : ملك بوهيميا
- **فلوريزل** «Florizel» : امير بوهيميا
- **ارشيداموس** «Archidamus» : نبيل بوهيمى
- **راعى أغنام عجوز** : يقال انه والد برديتا
- **مهرج** : ابن الراعى
- **أوتوليكوس** «Autolycus» : وغد
- **هرميون** «Hermione» : الملكة زوجة ليونتس
- **برديتا** «Perdita» : ابنة هرميون وليونتس
- **بولينا** «Paulina» : زوجة أنتيجونس
- **اميليا** «Emilia» : وصيفة هرميون
- **موبسا** «Dorcas»
- **دوركاس** «Mopsa» : راعيتان

وعدد من النبلاء والاتباع والضباط والخدم والرعاة والراعيات وبحار ، وسجان

قصة الشتاء

كان على جزيرة صقلية فى سالف الازمان ملك اسمه ليونتس يعيش فى أتم وفاق مع ملكته الفاضلة هرميون . وبلغ من سعادة ليونتس بحب هذه السيدة الممتازة ، أنه لم يكن يشتهى من دهره رغبة تنقص لكمال هنائه ، الا ما كان يساوره أحيانا من الشوق الى مرأى رفيقه القديم فى المدرسة بولكسينيس ملك دولة بوهيميا ، وأن يقدمه الى ملكته المحبوبة

وكان ليونتس قد تربى مع بولكسينيس منذ نعومة الطفولة ، الى أن توفى والداهما فدعيا لتسلم العرشين فى مملكتيهما ، ولم يلتقيا بعد ذلك أمدا طويلا من السنوات ، ولكنهما كثيرا ما كانا يتبادلان الهدايا والرسائل والسفارات الودية

وأخيرا ، وبعد دعوات متكررة ملحة ، قدم بولكسينيس من بوهيميا الى بلاط صقلية ليزور صديقه القديم الحميم ليونتس ملكها

وفى البداية ، لم يكن لهذه الزيارة من أثر الا ما أسدته من سرور خالص فى نفس ليونتس ، فذكى صديق شبابه لدى الملكة وأوصاها أن ترعى شأنه رعاية خاصة ، لانه يشعر وهو بين ملكته وصديقه القديم أن نعمة الله قد تمت عليه من كل وجه

وجعل الملكان يتحدثان عن الايام السالفة وعهود الدراسة وما كان يصدر منهما فى يفاعتهما من عبث الغلمان وألاعيب الصبية ومرح الشباب وقصفه ، ثم يقصان حديث ذلك كله على هرميون ، التى كانت تشترك دائما فى أحاديثهما منشرحة الصدر

وبعد أن أقام بولكسينيس ردحا طويلا لدى صديقه ليونتس ، أخذ يعد عدته للعودة الى بلاده . فانضمت هرميون الى زوجها ـ بايحاء من ذلك الزوج ـ فى الالحاح على بولكسينيس أن يؤجل السفر ويمنحهما الانس بصحبته مزيدا من الوقت

ومنذ هذه اللحظة بدأت متاعب الملكة الطيبة القلب ، فان

بولكسينيس الذى كان قد رفض البقاء رغم توسلات صديقه ليونتس ، رضخ لكلمات هرميون الرقيقة ، وقبل أن يمد ضيافته جملة أسابيع

وعلى الرغم مما يعهده ليونتس منذ عهد بعيد من استقامة ونزاهة مبادىء صديقه بولكسينيس ، ومن طهارة ذيل ملكته العفيفة الفاضلة ، الا أنه أضحى نهبا لغيرة جامحة

وصارت كل لفتة من المجاملة تبديها هرميون لضيفهما بولكسينيس ولو بايحاء مشدد من زوجها ، وبدافع من ارضائه ليس الا ، كانت هذه اللفتة كفيلة أن تزيد نيران غيرة الملك اشتعالا !

وهكذا تغيرت أحوال ليونتس ، فبعد أن كان أصدق الخلان مودة واخلاصا ، وأفضل الازواج وأكثرهم شغفا ، انقلب فجأة ، فاذا به وحش ضار لا سمة فيه من سمات البشر !

***

وتحت تأثير هذه الغيرة المشبوبة أرسل ليونتس فى طلب كاميلو ، وهو أحد نبلاء بلاطه البارزين ، وأفضى اليه بما يعتمل فى نفسه من الشكوك ، ثم أمره أن يحتال فى دس السم لصديقه وضيفه بولكسينيس ...

وكان كاميلو رجلا فاضلا صالحا ، وهو عالم تمام العلم أن غيرة ليونتس لا سند لها من الحقيقة ، فلم يجنح الى تنفيذ ما أمره به ملكه من تسميم بولكسينيس ، بل سعى اليه وأنبأه بجلية ما انتواه مولاه ، ثم اتفق معه على الهرب خارج حدود صقلية

وبمساعدة كاميلو تمكن بولكسينيس من الوصول سالما الى مملكته بوهيميا حيث أقام كاميلو بعد ذلك فى بلاط الملك ، وأضحى أقرب صديق لدى بولكسينيس

ولما علم ليونتس بفرار بولكسينيس ازدادت نيران غيرته استعارا ، وذهب وهو فى ثورة الغضب الى جناح الملكة ، حيث كانت تلك السيدة الصالحة جالسة من ابنها الصغير ماملیوس ، والصغير فى تلك الساعة آخذ فى سرد قصة من أحسن أقاصيصه بلسانه الالثغ ليدخل السرور على قلب أمه . واذا بالملك يدخل مندفعا فى هياج ، فيأخذ الطفل بعنف ويأمر بابعاده ، ثم يلقى بهرميون فى غيابة السجن !

ولئن كان ماملیوس لم يزل طفلا صغيرا جدا ، الا أنه كان يحب أمه

حبا على أقصى درجة من الرقة والحنان ، فلما رآها وقد كسيت بالهوان ، ووصمت بالمذلة ، واكتشف انهم انتزعوها منه ليلقوا بها فى السجن ، وقع الامر منه موقعا شديدا ، وحز فى قلب الصغير حزا عميقا ، فوجم وهزل هزالا بطيئا وفارقته الشهية للطعام والرغبة فى النوم ، حتى ظن أن الاسى لا شك قاض على حياته الغضة

***

أما الملك فان شكه الجائر فى حكمه على عفة زوجته ، لم يستطع أن يطفىء بصيصا بقى فى نفسه للتقوى ، فبعد أن ألقى بملكته فى السجن لم يشأ أن يستعجل القضاء عليها كما نازعته غضبته ، بل تمهل وأمر كليومينيس وديون ، وهما نبيلان من أشراف مملكته صقلية ، أن يتوجها الى جزيرة دلفى ، فهناك معبد أبولو المشهور ، ليسألا كاهنة الوحى فيه ، هل كانت ملكته خائنة لعهده يوما أم هى طاهرة الذيل ؟

وبعد أن سلخت هرميون فى سجنها أمدا قصيرة ، رزقت طفلة ، فوجدت فيها هذه السيدة المنكودة الحظ راحة نفس لا تقدر ، وعزاء فى بلواها . وخاطبتها قائلة :

ـ أيتها السجينة الصغيرة المسكينة ، انى لبريئة مما رميت به ، كبراءتك أنت منه سواء بسواء !

وكانت لهرميون صديقة محبة عطوف القلب هى السيدة النبيلة بولينا ، وهى زوجة نبيل من نبلاء صقلية اسمه انتيجونس .. ولما سمعت النبيلة بولينا أن مولاتها الملكة رزقت طفلة ، توجهت الى السجن الذى أودعت فيه هرميون ، وقالت للوصيفة القائمة على خدمة الملكة هناك ، واسمها اميليا :

ـ أرجوك يا اميليا أن تكونى سفيرة خير بينى وبين ملكتنا الصالحة

ـ لك هذا ، أما الدخول عندها فلا سبيل اليه

ـ لا أرب لى فى الدخول بنفسى ، وانما كل مرادى أن ترفعى الى جلالتها التماسا من قبلى ، وأن تتلطفى فى الالحاح عليها

ـ افعل ذلك ما وجدت الملتمس مناسبا لظروف الموقف

ـ انى فكرت لو تفضلت جلالتها فعهدت الى بوليدتها الصغيرة

ـ ولماذا تعهدك جلالتها بالوليدة اليك ؟

ـ لا تظنى سوءا ، ليس مرادى أن أحرمها منها ، بل فكرت أن

أجازف فأحملها الى والدها الملك ، فمن أدرانا الى أى حد سيلين قلبه لمرأى هذه الطفلة البريئة

فاقتنعت اميليا على الفور بكلام بولينا وقالت :

ـ أيتها السيدة الفضلى ، سأرفع الى مسامع الملكة تطوعك هـذا النبيل ، فانها فى هذا النهار بالذات ، قالت لى أنها تتمنى لو أن لها صديقة تبلغ بها الجرأة أن تجازف بتقديم الطفلة الى والدها الملك

سأفعل ذلك ، وبلغيها أيضا أنى سأخاطب ليونتس بكل جسارة دفاعا عن جلالتها

ـ شملتك بركة السماء الى الابد ، جزاء عطفك على ملكتنا

ثم دخلت اميليا الى هرميون ، وافضت اليها بمراد بولينا ، فأعطتها هرميون الطفلة بكل سرور ، لانها كانت تخشى الا يجسر أحد على تقديم الطفلة الى والدها

ولم تصغ بولينا النبيلة لاحتجاجات زوجها ، الذى سعى جهده ليمنعها من الاقدام على تنفيذ ما اعتزمت عليه ، خوفا من غضب الملك .. وأقتحمت بولينا الطريق الى حجرة العرش ، حاملة بين ذراعيهـا الوليدة ، الى ان وضعتها تحت اقدام ابيها ، ثم خاطبت الملك بكلام بليغ نبيل القصد والصياغة دفاعا عن هرميون ، ووبخته بعنف عن تجرده من الشعور الانسانى ، وناشدته أن تأخذه الرحمة بزوجته البريئة وبابنته . بيد أن دفاع بولينا الحماسى اللاذع لم يفعل فى نيران غضب ليونتس الا فعل أنفاس الهـواء تزيد اللهب وتذهب بالرماد ، فعظم استياؤه منها ، وامر زوجها أنتيجونس أن يأخذها من حضرته

وسبق الى ظن بولينا عندما ابعدت عن المجلس الملكى ان الطفلة الصغيرة التى اودعتها تحت اقدام ابيها ستكـون ابلغ منها بيانا فى مخاطبة فؤاد ذلك الملك القاسى حين يخلو اليها ، ويتفحص ملامحها فتأخذه الرأفة بعجزهاوبراءتها الطفلية وربما رحم من اجلها تلـك التى ولدتها

ولكن بولينا الطيبة القلب كانت فى ذلك جد مخطئـة ، فما ان غادرت قاعة العرش حتى عاد زوجها انتيجونس ، ليمثل بين يـدى ليونتس معتذرا عما بدر من طيش زوجته ، حتى أمره ذلك الطـاغية القاسى ان يأخذ الطفلة التى اتت بها امراته ، فيحملها الى البحـر ويمخر بها فيه ، ثم عليه بعد ذلك أن يتركها على شاطىء مقفر حتى تهلك !

وكان انتيجونس من طينة معظم اتباع الملوك ، وليس من طراز كاميلو الكريم النفس ، فاجتهد فى طاعة أوامر ليونتس بحذافيرها ، فحمل الطفلة على ظهر سفينة ، واقلع بها ، وفى نيته ان يتركها على اول شاطىء مهجوريعترض طريقه ، ليعود سريعا فيبلغ مولاه ويظفر برضاه

***

وانتجت ضراعة اميليا ثمرة أخـرى مرة الطعم ، أذ جمع غضب الملك ، فتجاهل ماكان قد اخذ به نفسه من الاناة حتى يحضررسولاه كليومينيس وديون بحكم الاله أبولو صاحب معبد دلفى فى عفتها ، فأمر ان تنتزع الملكة النفساء من فراش المخاض ، ولما تبرأ بعد من الجزع على فقدان وليدتها المحبوبة ، ويؤتى بها الى محاكمة علنية اختار لها قضاة من اذنابه النبلاء رجال حاشيته واعضاء بلاطه

وفى اليوم الموعود اتوا بهرميون فى لباس الذل واغلال السجن ، فمثلت امام أشراف المملكة الذين حشرهم زوجها الباغى لمحاكمتهـا وهم رعاياها بحكم الحقيقة والشريعة

وما فتحت الجلسة حتى تصايح الناس ، ان الفلك الذى يحمل حجيج دلفى قد وصل الى الميناء . وانشقت الجموع عن كليومينيس وديون يدخلان قاعة المجلس المعقود ، فيقدمان الى الملك نص وحى أبولو فى رسالة مختومة بخاتم معبد دلفى ، وللوحى حكمة الاسـمى عند أهل ذلك الزمان ، ولحامليه قداسة لا تتطاول اليها يد السلطان

واشرأبت الاعناق الى حكم الاله الذى يحب أحكام النبلاء ، والجمت السنة القضاة رهبة وتطلعا ، ثم شق الصمت الخاشع صوت الملك يأمر بأختام المعبد المقدس أن تكسر ، ثم بسطت الورقة ، فأمـر منادى البلاط أن يقرأ سطور الوحى بصوته الجهورى ، فاذا هـذه فحواه :

ـ هرميون بريئة ، وبولكسينيس لا تثريب عليه ، وكاميلـو من أخلص الرعايا واصدق التابعين ، اما ليونتس فطاغية جامح الغـيرة ، وسيعيش الملك بلا وريث اذا لم تسترد المفقودة ..

وتعالت همهمة بالعجب والروعةوالتسليم بقضاء الوحى المقدس ، بيد ان الملك ابى ان يصدق عبارات الوحى ، وصرخ فى غضب يتهم

أنصار الملكة وأصحابها بتلفيق هذا الوحى المزعوم ، متحديا الاله أن كان هذا وحيه ان يثبت فى صفحة الغيب ماادعاه

والتفت بصوت كالزئير الى رئيس قضاته أن يستمر فى اجراءات محاكمة الملكة ، وقبل أن يفرغ ليونتس من القاء هذا الامر دخل قاعة المجلس رجل من خدم القصر ، فأعلن بصوت مختلج أسيف ، أن الامير ماماليوس عندما بلغه أن والدته تحاكم لتؤدى حياتها كفارة عن التهمة الموجهة اليها ، صعقه الاسى والخزى فمات لساعته ..

وسرت الضجة بين الحاضرين لذلك الجواب السريع الذى ردبه ابولو على تهجم الملك على وحيه بالتزييف

أما هرميون فما ان سمعت نبأ وفاة ذلك الصبى الحبيب الحنون، حزنا على نكبتها وخزيا من فضيحتها ، حتى سقطت مغشيا عليها ،

أما ليونتس فقد اخترم النبأ الصاعق فؤاده ، وشعر بالندم وأخذته الرأفة بالملكة المنكودة ، فأمر بولينا والسيدات القائمات على خدمتها ان يحملنها بعيدا ويعملن على افاقتها ، وصدعت بولينا بالامر، بيد انها لم تلبث ان عادت فابلغت الملك ان سهم القضاء نفذ فى هرميون !

ولما سمع ليونتس ان الملكة ماتت ، اخذه الندم على ما بدر من قسوته عليها ، انها كانت بريئة مما رماها به . وعلم ان كلمات الوحى كانت صادقة لا يأتيها الباطل . واخذ يتلو تلك السطور بامعان ، فلما قرأ العبارة الاخيرة « مالم تسترد المفقودة » ادرك ان ابنته الصغيرة هى المقصودة بهذه العبارة ، وأنه مالم يجدها سيظل بغير وريث يلى الملك ما بعده ، ما دام ولى عهده الصغير ماماليوس قضى نحبه

وتمنى ليونتس لو نزل عن مملكته الان ليسترد ابنته الضائعة . وأستبد به الندم على سوء فعله ، ولكن لات ساعة مندم ، فهيهات ترجع الهالكة

وقضى بعد ذلك سنوات طويلة غارقا فى الاحزان متخذا الحداد ، عسى أن يكفر بذلك عما اقترفه بطيشه

***

وشاءت المقادير ان تهب عاصفة على السفينة التى اقلت انتيجونس والاميرة الصغيرة ، فتدفع بها الى ساحل مقفر مجهول لربانها الصقلى،

وكان هذا الشاطىء من شواطىء مملكة بوهيميا ، التى صاحبها الملك الصالح بولكسينيس وعلى ذلك الشاطىء ألقت السفينة مراسيها . حيث ترك انتيجونس الوليدة المسكينة ، وعاد من حيث أتى

ولكن لم يقدر لانتيجونس ان يعود الى صقلية ليخبر ليونتس أين ترك ابنته ، اذ فيما هو عائد من الشاطىء الى ظهر السفينة ، خرج عليه من الغابة دب عظيم الجثة فافترسه ومزقه اربا ، فكان ذلك عقابا معجلا له على ما بادر به من طاعة لامر جائر من ملك باغ

وكانت الطفلة متدثرة بثياب غالية وحلى ثمينة ، لان هرميون تعمدت ان تغالى فى زينتها حين ارسلتها الى ليونتس على ذراعى بولينا . وكان انتيجونس قد شبك فى ثيابها ورقة كتب عليها اسمها « برديتا » ومعناها المفقودة ، واردف ذلك بكلمات تلمح الى نسبها العريق وقدرها المشئوم . وعثر على الطفلة المسكينة المتروكة رجل من الرعاة، حباه الله قلبا عامرا بالرحمة والتقوى فحمل برديتا الصغيرة الى زوجته فارضعتها ورعتها خير رعاية

واغرى الفقر ذلك الراعى ان يبالغ فى كتمان الغنيمة الثمينة التى وجدها على الشاطىء ، فرحل وامرأته عن تلك البقعة من البلاد ، حتى لا يفطن أحد الى تغير احواله من الفقر المدقع الى بحبوحة اليسار

وفى موطنه الجديد اشترى بجانب من مجوهرات برديتا قطعانا من الاغنام ، وأصبح من أثرياء الرعاة ، واتخذ من برديتا ابنة له ، فنشأت وهى لا تعرف عن نفسها سوى انها ابنة راع مستور الحال

وشبت برديتا الصغيرة عن الطوق، فغدت غادة مليحة ، ولئن لم تظفر بتعليم ارقى مما يتاح لبنات الرعاة ، الا ان رهافة فطرتها التى سرت اليها من جهة أمها الملكة كانت تضىء لها عقلها الذى لم يتول صياغته المؤدبون ، حتى انه مامن أحد كان يمكن أن يعرف من سلوكها انها لم تنشأ فى بلاط أبيها الحقيقى

وكان لبولكسينيس ملك بوهيميا ولد واحد ، اسمه فلوريزل وفيما كان هذا الامير الشاب يصطاد بالقرب من مسكن الراعى ، اذ به يرى ابنة الشيخ المزعومة ، فكان جمالها ووداعتها وما لها من هيبة الملكات، سببا لوقوعه فى حبها على الفور !

وأراد الامير الا يكون لنسبه وسامى مقامه دخل فى خطوته بقلب هذه العادة ، فتخفى فى زى السواد من السادة وأواسط الناس ، وتسمى باسم دوركلس ، واخذ بهذه الصفة يكثر من التردد على منزل الراعى الشيخ

وانزعج بولكسينيس لتكرر نوبات غياب وحيده فلوريزل ، وخامرته فى أسباب ذلك الظنون ، فاطلق الارصاد وبث العيون على ولى عهده ، ليأتوه بأخبار حركاته ، وبوادر فلتاته ، وبذلك وسعه ان يكتشف حب فلوريزل لابنة الراعى الحسناء

***

وعلى عادة بولكسينيس كلما حزبه الامر واحتاج الى رأى النصيح الامين ، ارسل يدعو كاميلو ، ذلك النبيل الوفى الذى صانه من الموت ونجاه من الهلاك بالسم على يد ليونتس . ونفض اليه جلية المسألة ، ثم رغب اليه ان يصحبه الى بيت الراعى ، وهو المزعوم أبا لبرديتا

وتخفى الملك بولكسينيس والشريف كاميلو فى زى عابرى السبيل ، ثم قصدا الى مسكن ذلك الراعى فى أوان الاحتفال بجز الاغنام من كل سنة ، وقد أقيمت فى الدار لهذا المناسبة وليمة حافلة

والعادة الجارية فى تلك البلاد أن كل عابر سبيل ، مهما كان مجهول الطوية ، يدعى الى وليمة الموسم تلك بكل ترحيب . وهكذا كان دخولهما الى مكان المأدبة داخل البيت طبيعيا بدعوة من رب الدار ، وأخذا يشاركان فى ذلك القصف العام بين جموع المحتفلين

كان الجو كله جو مرح وهزل ودعابة وبهجة ، فالموائد مبسوطة ، والاستعدادات قائمة على قدم وساق لنجاح هذا الحفل الريفى التقليدى . واخذ فريق من الفتيان والفتيات يرقصون على بساط العشب فى الرحبة الواسعة امام باب البيت ، وانصرف فريق آخر الى شراء القفازات واربطة الشعر واللعب من بائع متجول وقف بالباب

كان الجميع فى حركة دائبة ونشاط لا يفتر ، الا فلوريزل وبرديتا ، فقد جلسا بكل هدوء فى ركن منعزل ، يبدو عليهما ان لذة الحديث الخافت فيما بينهما اقرب الى نفسيهما من الاشتراك فى سائر الالعاب وضروب التسلية والقصف التى انغمس فيها سائر الحاضرين

وكان تنكر الملك غاية فى الاتقان حتى انه كان من المستحيل على ابنه

أن يعرفه ، فاقترب وهو مطمئن حتى صار على مرمى السمع منهما ليصغى الى حديثهما ونجواهما

ولم تأخذ الملك بولكسينيس الدهشة مما بدا فى أسلوب الحديث وسذاجته ، فقال لكاميلو حديث برديتا الى ابنه من رشاقة راقية على الرغم من بساطته

ـ ان هذه ايها الصديق ابدع صبية متواضعة المولد رأيتها فى حياتى . فما من شىء تفعله او تقوله الا وتبدو وكأنها اسمى من حقيقتها ، واشرف من أن تنتمى الى هذا الموضع الزرى

فأجاب كاميلو قائلا :

ـ انها حقيقة يامولاى زبدة الزبدة من كل هذا المخيض الريفى

فقال الملك عندئذ :

ـ سأتخذ يا صديقى خطوة ايجابية فى التو واللحظة ، أطرق بها الحديد وهو بعد ساخن هين التشكيل

***

وتقدم الملك بعد ذلك من الراعى العجوز رب الدار فقال له :

ـ عفوك ايها الصديق الصالح ، من هذا الفتى الاشقر المليح الذى أراه هناك يتحدث مع ابنتك على انفراد ؟

ـ انه يدعى دوركلس ، ويقول انه يحب ابنتى وان اردت الحق أرى الحب بينهما متعادلا ، حتى ما تدرى أيهما أشد من صاحبه صبابة ، وأن قدر لهذا الفتى دوركلس ان يظفر بها ، لتأنين له بما لم يكن يخطر له على بال ، ولو فى معرض الاحلام

وكان الراعى الشيخ السليم الطوية يعنى بهذا التلميح ما تبقى من جواهر برديتا التى أخفى ما فاض منها عن ثمن القطمان ليكون باثنة تهديها الى بعلها فى عقد الزواج

ولما سمع بولكسينيس هذا الكلام من الراعى ، توجه بالخطاب الى ابنه :

ـ عجبا لامرك ايها الشاب ! انى أرى قلبك طافحا بهموم تصرف نفسك عن هذه الوليمة الحافلة . ومع اننى حينما كنت فى مثل سنك ، فى ميعة الصبا ، كنت احيل على محبوبتى الهدايا والالطاف ،

رايتك الساعة تترك البائع ينطلق منصرفا بتحفه ، ولم تبتع منه لفتاتك طرفة مما يبيع

ولم يفطن الامير الشاب الى أن الذى يحدثه هو أبوه الملك ، ومن اين كان يخطر له ذلك بوهم ، لذا اجابه قائلا :

ـ ايها السيد المسن ، انها لا تقيم وزنا لمثل هذه الترهات، فالطرائف التى تنتظرها برديتا منى مكنوزة لها فى طوايا فؤادى

ثم التفت الى برديتا وقال لها :

ـ اسمعى ما اقوله لك الان يابرديتا امام هذا الشيخ الوقور ،الذى يبدو انه عرف العشق وبلا الحب فى ابان حياته ، فهو أحرى أن يكون شهيدا على ما اقر به لك الان

ثم ناشد فلوريزل الغريب العجوز ان يكون شاهداً على ما سيالوه على نفسه بالقسم المغلظ من الزواج لبرديتا ، وختم كلامه لبولكسينيس بهذه العبارة :

ـ واناشدك يا سيدى ان تشهد بانعقاد هذا العقد

فكشف الملك عن ادوات التنكر وهو يصيح :

ـ بل اشهد انفصامه ايها الفتى !

ثم انحى بولكسينيس على ابنه باللائمة ، لانه اجترا ان يربط ذاته بصبية وضيعة النسب ، ونعت برديتا بسليلة الرعاة ، وخادمة المواشى، وما الى ذلك من أوصاف التحقير . وتوعدها ان هى يسرت لابنه أن يراها بعد ذلك ، ان يقتلها ووالدها الراعى العجوز ابشع قتلة !

وغادر الملك بعد ذلك الوليمة وهو فى قمة الغيظ ، وامر كاميلو أن يتبعه مصطحبا الامير فلوريزل

ولما انصرف الملك بعد ان استنار الطبيعة الملكية الدفينة فى نفس برديتا بقوارع كلماته ، قالت :

ـ مع انه قضى على كلّ شىء ، وبهرنا جميعا بمحضره المفاجىء الا اننى لم اكن خائفة منه كثيرا . هممت مرة او مرتين أن اتكلم وأجابهه بغير مواربة ان الشمس التى تشرق على قصره ، هى بعينها الشمس التى لا تزور بوجهها عن كوخنا ، وانها فى اشراقها على الاثنين سواء..

وبعد ذلك قالت فى يأس :

ـ انى الان قد استيقظت على كل حال من هذا الحلم ، وسوف لا استرسل فيه أكثر مما فعلت ، والان دعنى يا سيدى الامير ، كى اذهب الى نعاجى فاحتلبها ، ومع در البانها استرسل فى ذرف دموعى

واخذ كاميلو الطيب القلب بما فى سلوك برديتا من نخوة وانفة وسلامة . وفطن أيضا ان الامير الشاب قد بلغ به الحب غاية لايستطيع معها ان يتخلى عن حبيبته نزولا على أمر والده الملك ، ففكر فى وسيلة يساعد بها الحبيبين ، وفى الوقت نفسه ينفذ خطة طالما اختمرت فى ذهنه

وكان كاميلو يعلم منذ زمن طويل ان ليونتس ملك صقلية صدقت توبته من ذنبه وندمه على ما سلف من اساءاته . ولئن كان كاميلو قد غدا الآن صاحب الحظوة والصديق الاثير لدى الملك بولكسنيس . فهو لا يتمالك نفسه من الشوق لمراى مولاه السابق ، ومن الحنين الى وطنه ومسقط راسه فاقترح كاميلو على فلوريزل وبرديتا ان يفرامعه الى بلاط ملك صقلية ،حيث يحمل الملك ليونتس على بسط حمايته عليهما ، الى ان يسعى سعيه للحصول على عفو ملكى عنهما من بولكسينيس وموافقته على زواجهما

ولقى هذا المقترح قبولا من الفتى والفتاة ، وفرحا بتلك الفرصة فرحا عظيما ، واعد كاميلو فى الحال كل ما يلزم لذلك الفرار . ثم تنبه الى أن الراعى الشيخ والد برديتا سيكون هدفا لغضب بولكسينيس وانتقامه حين يكتشف الحيلة فحفز الراعى على الرحيل معهم

ولم يستطع الراعى ان يأخذ معه قطعانه ، بيد انه كان حريصا بطبيعة الحال ان يحمل معه ما كان قد تبقى من جواهر برديتا . واخذ أيضا الثياب الفاخرة التى كانت ترتديها يوم عثر عليها طفلة ، وتلك الورقة التى كانت مشبوكة بدبوس الى دثارها وهى راقدة فى المهد على الشاطىء المهجور

***

وبعد رحلة مواتية الريح ، وصل الامير فلوريزل والراعية الحسناء برديتا والنبيل كاميلو والراعى العجوز سالمين الى بلاط ليونتس ملك صقلية . وكان ليونتس لم يزل غارقا فى الحزن على وفاة هرميون ، وهلاك طفلته الضائعة ، فاستقبل صديقه القديم كاميلو بكل مودة ،

ورحب بالامير فلوريزل ابن صديق الدراسة أجمل ترحيب

كل هذا كان طبيعيا ومفروضا بحكم آداب المجاملة والعلاقات العاطفية القديمة . أما مالم يكن منتظرا فهو استقبال الملك ليونتس باهتمام شديد للفتاة برديتا ، التى قدمها اليه فلوريزل على انهاالاميرة خطيبته . فان الملك فطن على الفور الى وجه شبه كبير بينها وبين ملكته المتوفاة هرميون . فنكأ ذلك جراح احزانه وجددها ، وانهمرت الدموع على خديه تبلل لحيته وهو يقول :

ـ كان يمكن ان تكون ابنتى فى مثل جمال هذه المخلوقة الجميلة ، وشبابها الآن ، لو أننى لم اهلكها بقسوتى الفاحشة

ثم التفت الى فلوريزل وقال له :

ـ لقد فقدت زوجتى وابنتى ، وفقدت كذلك عشرة والدك الشهم وصداقته وما اشد شوقى الان اليه . بل انى لاشتهى أن اراه ثانية أكثر مما اشتهى الحياة بكل ما فيها

وعندما سمع الراعى العجوز بمبلغ الاهتمام الذى شملّ به الملك ليونتس برديتا . وعرف أيضا ان الملك فقد بنتا تركها فى العراء على شاطىء مهجور ، وهى فى بداية الطفولة الاولى ، اخذ يحسب فى ذهنه الوقت الذى عثر فيه على الصغيرة برديتا ، ويقارن ذلك التاريخ بتاريخ ضياع ابنة الملك ، ويسترجع فى ذهنه فخامة ثيابها وجواهرهاالتى تدلّ على نسب رفيع ومقام سام . وكلّ هذه الدلائل جعلت من المستحيل عليه الا يستخلص من الملابسات المجتمعة أن برديتا هى بعينا ابنة الملك الضائعة

***

واستأذن الراعى العجوز بعد ذلك على الملك ، وكان فلوريزل وبرديتا وكاميلو والنبيلة الوفية بولينا ، حاضرين جميعا فى المجلس عندما سرد الراعى العجوز على المسامع الملكية الحالة التى وجد عليها الطفلة ، وظروف مقتل انتيجونس الذى كان قد رآه والدب المتوحش يثب عليه

وقدم الراعى بعد ذلك دثار الاميرة الفاخر ، الذى تذكرته النبيلة بولينا على الفور ، لانه هو الذى كانت الملكة هرميون قد لفت فيه الطفلة حين أعطتها اياها لتذهب بها الى ابيها الملك ..

وبعد ذلك اخرج الشيخ حلية من الجوهر تذكرتها كذلك بولينا ،الان الملكة هرميون كانت قد وضعتها بيدها حول عنق برديتا . ثم ابرز الراعى الورقة ، فعرفت بولينا فيها خط زوجها . ولم يعد هناك ادنى شك ان برديتا هذه هى ابنة ليونتس التى كان يظنها هلكت ..

وهنا وقفة من اروع ما كتب هذا الساحر شكسبير ، انها لحظة يجتمع فيها اشرف صراع ورد على نفس امراة . فالنبيلةبولينامقسمة النفس يتنازعها وقع الفجيعة بموت زوجها ، ومفاجاة الفرح لانوحى أبولو صدق وتمت آخر كلمة فيه ، فوجد الملك وريثته اذ استرد ابنته المفقودة

أما ليونتس فلما سمع ان برديتا هى ابنته . كان الشعور الغالب على نفسه فى تلك اللحظة حتى غطى على شعور الفرح ، هو الاسى البالغ لان هرميون لم تكن على قيد الحياة ، لترى بعينى راسها وحيدتهاوقد ردت الى الحياة ، بعد طول يأس وقنوط . فلم يحر كلاما ، ولبث برهة طويلة لا يخرج بالصمت الا عن هذه الكلمة يرددها :

ـ يا لامك المسكينة ! ويحى على امك المسكينة !

***

الجم كل لسان ، وأخذ الحاضرين الوجوم أمام ذلك الموقف الانسانى الفريد . فما اجتمع قط مثل هذا الحزن بمثل ذلك السرور، الى ان تمالكت بولينا نفسها مما يجيش فى صدرها من نقائض العواطف وخفت لنجدة الملك من سطوة احزانه ، قائلة له :

ـ سيدى يعلم كم كنت احب سيدتى الملكة هرميون ولبثت مخلصة لعهدها

ـ علمنا ذلك فيك ايتها النبيلة بولينا ، وكلّ ما نملك من نعم الدنيا جزاء لك على تلك الخلة النادرة

ـ واحب ان اقول لمولاى ان عندى تمثالا كنت قد كلفت الفنان الايطالى البارع جوليو رومانوكى بصنعه ذكرى لمولاتى الملكة ، وقدفرغ الفنان منه حديثا ، وجاء صورة مطابقة الشبه لجلالة الملكة . فلوتفضل مولاى جزاء لى على تاريخى المتواضع فى الوفاء لبيته وعرشه ، فشرف بيتى المتواضع بالزيارة ، لشاهد هذا التمثال ، ولوجد فى شدة الشبه شيئا من بلسم تهدأ به سورة حزنه ، بل ان مولاى سيظن التمثال جلالة الملكة هرميون بلحمها ودمها

ـ ليس هذا فضلا منا أو شرفا نضفيه عليك أيتهـــا النبيلة بين النبيلات ، وانما هو صنيع آخر تسدينه الينا بتهيئة ذلك العزاء الفريد فى هذا اليوم المشهود ، وكى ترى ابنتنا التى استعدناها اى حشـد رائع من الجمال والوداعة والسماحة والنبل والهيبة كانت والدتهـا العـــزيزة

وأظهرت برديتا غاية اللهفة على مشاهدة ذلك التمثال الذى كان بالحجم الطبيعى الكامل لامها التى لا تذكر عنها شيئا

***

وخف الموكب الملكى الى دار بولينا ، وعندما كشفت بيدها الستار الذى يخفى ذلك التمثال العتيد ، بدا شبهه بالملكة هرميون تاما من جميع الوجوه ، حتى ان جميع لواعج الملك تجددت عليه فى الحال ، ووقف برهة طويلة لايجد فى نفسه قدرة على الكلام أو الحـــركة من شدة الاسى

ولبث الجميع صامتين ، الى ان قالت بولينا :

ـ لكم احب صمتك هذا يا مولاى ، فهو اوضح دليل تعبر به عن عجبك واعجابك ، اليس هذا التمثال شديد الشبه بالملكة حقا ؟

فصمت الملك لحظة ، ثم أجابها قائلا :

ـ بلى ، فهكذا كانت تقف ، وبمثل هذه المهابة تماما ، عندما طلبت اليها يدها أول مرة ، ولكن يخيل الى يابولينا ان هرميون كانت اتضر شبابا مما تبدو فى هذا التمثال الرائع الصناعة

فأجابته بولينا على الفور :

ـ بل ان هذا فضل آخر يضاف الى حذق صانع التمثال ، فقـــد جعل تمثالها يبدو كما كانت تماما لو انها عاشت كل هذه السنوات حتى اليوم . والان اسمح لى يامولاى ان اسدل الستار ، حتى لايخيل الى مولاى ان التمثال سيتحرك

فرفع الملك يده واهاب بها قائلا :

ـ لا تسدلى الستار ! ويحى ! انظر ياكاميلو . الا يخيل اليك ان التمثال يتنفس ؟ وعيناه يخيل اليك ان فيهما اختلاجة الحياة !

فقالت بولينا بهدوء واصرار :

ـ بل يجب يا مولاى أن أسدل الستار فانك مستثار النفس جدا ،

حتى لربما خيل اليك ان التمثال دبت فيه الحياة

ـ اى بولينا الرحيمة . لقد لبثت ابكيها عشرين سنة ، ومع هذا يخيل الى ان نفسها يهب من فمها على وجهى . واى ازميل ســاحر ذلك الذى ينحت التنفس فى الحجر الصلد ؟ لا تسخروا منى كلكم ، فانى مزمع أن اثمها

فقالت بولينا مستسلمة :

ـ اى مولاى الصالح . ترفق بنفسك ، فان الطلاء الاحمر الذى لونت به الشفاه لم يزل نديا ، فتتلوث شفتاك بدهان الزيت ، هلا سمحت لى باسدال الستار ؟

فقال الملك باصرار :

ـ كلا كلا ، لعشرين عاما قادمة !

وكانت برديتا طيلة هذا الوقت راكعة تتمعن فى اعجاب صامت فى تمثال امها التى لم يكن لها نظير ، فلما سمعت الملك يقول انه مزمع ان يقضى عشرين عاما لا يحول ناظريه عن التمثال ، قالت :

ـ وليتنى اقضى انا ايضا هذه الاعوام فى هذا المكان اتطلع الى والدتى المحبوبة ..

فقالت بولينا لليونتس :

ـ اما ان تحملوا انفسكم على شىء من الصبر والتجلد وتتركـونى اسدل الستار ، واما ان تهيئوا انفسكم لمزيد من العجب العجاب

ـ اى مزيد ؟

ان فى وسعى أن أجعل التمثال يتحرك فعلا ..

ـ يتحـــرك ؟

ـ اجل .. وينزل من فوق قاعدته ويأخذ بيدك فى يده .. لولا اننى أخشى ان تظن جلالتك عندئذ بى ظنا أربأ بنفسى عنه ، وهو ان لى سندا من قوى الشيـاطين

فقال الملك وقد اخذ منه العجب مأخذه :

ـ ما استطعت ان تجعليها تفعل فافعليه ، فانى قانع بالنظر ، مهما كان فى استطاعتك ان تجعليها تنطق به ، فانى مستعد أن اسمعـه . واحسب انطاق تمثال ليس اعصى من جعله يتحرك

وعندئذ امرت بولينا فصدحت الموسيقى هادئة رهيبة ، وكانت قد

اعدت عدتها لهذا الغرض من قبلُ ، لتزيد من وقع المفاجأة

وبهت الجميع اذ راوا التمثال يهبط عن قاعدته فعلا،ويلقى بذراعيه حول عنق ليونتس ، ثم شرع التمثال يتكلم ، مستنزلا من السموات وآلهتها اليمن والبركات على الزوج وعلى الابنة التى كانت مفقودة فولدت

ولا عجب أن يتعلق التمثال بعنق ليونتس ، ويستنزل البركات عليه وعلى برديتا ، لا عجب فى ذلك مطلقا ، لان التمثال لم يكن فى واقع الامر سوى هرميون نفسها ، هرميون الحقيقية الملكة ، حية تتنفس وتتحرك

واتضح الامر الذى كان خافيا سنوات طويلة ، فعرف الملك ان النبيلة الوفية بولينا موهت عليه نبأ وفاة هرميون ، لانها قدرت ان تلك هى الوسيلة الوحيدة لحفظ حياة مولاتها الملكة من مغبة محاكمة ، اعد حكم الاعدام فيها مقدما

ولبثت هرميون مقيمة مع صديقتها الوفية بولينا منذ ذلك الحين. وقد اخفتها فى حرز حريز ، تخدمها وتطعمها بنفسها ، حتى لا يراها الخدم والعبيد ، وبذلك حفظت سر حياتها عن الملك ، ولم يفرها ما ابداه من حزن أن تذكر له الحقيقة ، الى ان علمت بعودة برديتا المفقودة ففرحت الملكة اعظم الفرح . وامكنها أن تروض نفسها على العودة الى زوجها . ذلك انها على الرغم مما علمته ، من حزنه على اساءته اليها، حتى رق قلبها وغفرت له تلك الاساءة منذ زمن طويل ، الا انها لم تستطع أن تغفر له الميتة البشعة التى انزلها بابنتها الصغيرة اما والميتة قد بعثت ، والمفقودة قد عادت ، فلا ذنب يستعصى على الغفران ، ولا حائل يمنعها من عودتها الى احضانه وقد تمت سعادتها بعد شقاء طويلٍ

وهكذا وجد ليونتس نفسه فجاة وقد خرج من الظلمات الدامسة الى النور الساطع ، فملكته الميتة عادت الى الحياة ، وابنته المفقودة عادت من وادى الضياع ، فاذا به لا يكاد يتمالك نفسه ، فيقوى على احتمال هذا الطوفان الغامر من السعادة

وماجت الدولة كلها بأهازيج الافراح وآيات التبريك والتهنئة من

كل صوب ، وتقدم الوالدان الملكيان بخالص الامتنان الى الامير فلوريزل لما حبا ابنتهما به من حبه الشريف العنيف ، مع ما كان ظاهرا للجميع من وضاعة نسبها ورقة حالها

وبارك الوالدان والامير ذلك الراعى الشيخ الصالح لما قام به من حفظ حياة برديتا ، والقيام على رعايتها بكل حنان واخلاص

واما ابتهاج كاميلو وبولينا فكان بالغا الغاية . لان العناية الالهية اتاحت لهما أن يعمرا حتى يشهدا هذا الختام السعيد لخدماتهما المخلصة

ولم يبق شىء تتم به هذه الفرحة الشاملة النادرة ، سوى ماتم فعلا من دخول الملك بولكسينيس بنفسه فى تلك اللحظة الى بلاط الملك ليونتس ، فان الملك بولكسينيس لما افتقد وحيده فلوريزل وصديقه كاميلو ، وكان يعلم ، ان كاميلو لبث زمنا يحن للعودة الى صقلية ،ادرك على الفور انه سيجد الهاربين فى بلاط ملك صقلية ، فلم يضع وقتا فى تعقب آثارهما ، واتفق وصوله فى تلك اللحظة التى كانت اسعد لحظة فى حياة ليونتس كلها . فاسهم بولكسينيس فى ذلك الابتهاج العام ، واعلن صفحه الصادق عن تلك الغيرة الظالمة العمياء التى أجرم بها ليونتس فى حقه حتى كاد يفتك به

ومرة اخرى عاد الحب والصفاء بين الخلين ، وجددا عهد صداقة الصبا . ولم يعد هناك ادنى خوف من اعتراض بولكسينيس على زواج ابنه من برديتا ، فهى ليست خادمة اغنام ولا حالبة نعاج كما نعتها سابقا ، بل هى وريثة تاج مملكة صقلية

وجزى الله هرميون التقية العفيفة على عذابها الطويل ، بحياة مديدة بين زوجها ووحيدتها ، كانت فيها اسعد الامهات ، واسعد الزوجات، واحب الملكات الى قلوب رعاياها المخلصين

ضجة بلاطائل

شخصيات الرواية

• دون بدرو	«Don Pedro»	: امير اراجون
• دون جون	«Don John»	: اخوه غير الشرعى
• كلوديو	«Claudio»	: نبيل شاب من فلورنسة
• بنديك	«Benedick»	: نبيل شاب من بادوا
• ليوناتو	«Leonato»	: حاكم مسينا
• انطونيو	«Antonio»	: اخو الحاكم
• الراهب فرنسيس	«Francis»	: راهب
• دوجبيرى	«Dogberry»	: شرطى
• هيرو	«Hero»	: ابنة ليوناتو
• بياتريس	«Beatrice»	: ابنة اخ ليوناتو

وأتباع ، وخدم ، ووصيفات ، وغلمان

ضجة بلا طائل

كانت تعيش فى قصر مسينا سيدتان ، تدعيان هيرو وبياتريس . وهيرو هى ابنة حاكم مسينا ليوناتو ، اما بياتريس فهى بنت اخيه ، اى انها ابنة عم هيرو

وكانت بياتريس ذات مزاج فائض بالحيوية والمرح ، تحب ان تدخل السرور والتسلية على نفس ابنة عمها هيرو . واما هيرو فكانت اقرب فى مزاجها الى الجد ، وفيها شىء كثير من الوداعة تهتم بكل شىء يعترضها ، فى حين ان اى شىء يتفق حدوثه لم يكن يعنى لدى بياتريس الخفيفة الروح اكثر من مناسبة للابتهاج والطرب

***

وفى الوقت الذى وقعت فيه حوادث هذه الرواية ، حضر لزيارة ليوناتو حاكم مسينا نفر من الشبان ذوى النسب العالى والرتب الرفيعة فى الجيش ، وهم فى طريقهم مخترقين مسينا عائدين من حرب وضعت أوزارها ، وكانوا قد ابلوا فيها ببسالتهم الفائقة بلاء عظيما

ومن بين هؤلاء النفر من الفرسان الشجعان كان الدون بدرو العظيم امير اراجون وصديقه كلوديو من اشراف مدينة فلورنسا، وفى صحبتهما الشاب الفكه الحاضر النكتة بنيديك وهو من نبلاء بادوا

وكان الشبان الثلاثة قد سبق لهم القدوم الى مسينا ، ولهذا قدمهم الحاكم الى ابنته وابنة اخيه فى هذه المرة باعتبارهم اصدقاء قدماء

وبمجرد دخول الحجرة التى بها الآنستان ، شرع بنيديك يخوض محادثة شائقة مع الحاكم ليوناتو والامير دون بدرو فغاظ ذلك بياتريس الخفيفة الروح ، لانها كانت لا تحب ان تظل بعيدة عن اى حديث يدور امامها ، وقاطعت بنيديك قائلة :

ـ عجبا لامرك ياسنيور بنيديك . اراك لم تزل مسترسلا فى الحديث، مع انه لا احد يلتفت اليك !

ومع ان بنيديك كان يضارع بياتريس فى المزاج المرح وحب النكتة،

الا انه لم يشعر بسرور بالغ لهذه التحية . وأعتقد انه ليس مما يليق بسيدة مهذبة ان يكون لسانها لاذعا بهذا الشكل . ثم تذكر انه عندما كان مارا بمسينا فى المرة السابقة درجت بياتريس على ان تتخذ منه هدفا لعبثها وسخرياتها الضاحكة

ومن المشاهد انه ما من احد يكره ان تناله السخرية مثل هؤلاء المغرمين باستخدامها مع الناس وهكذا شأن بنيديك وبياتريس . فكلاهما لاذع النكتة ، وما من مرة حدث ان التقيا من قبل الا وشجرت بينهما حرب حقيقية مستمرة قذائفها من النكات الجارحة . ثم يفترق الاثنان وكل منهما شديد السخط والاستياء من صاحبه

ولهذا عندما قاطعته بياتريس فى وسط كلامه لتقول له ان لا احد يلقى اليه بالا أو يهتم بحديثه ، تصنع بنيديك انه لم يلحظ وجودها فى الحجرة قبل ذلك ، وقال بدهشة :

ـ عجبا يا عزيزتى السيدة المتعالية . اما مازلت على قيد الحياة ؟

وبدات الحرب من جديد بينهما ، على شكل محاورة حامية طويلة

وفى خلال تلك المبارزة اللفظية هونت بياتريس من شجاعته الحربية مع انها كانت تعلم تمام العلم عظيم اقدامه وحسن بلائه فى الحرب

ولما لاحظت ان الامير بدرو يطرب لحديث بنيديك ، نعتته بمهرج الامير . ففاصت هذه الطعنة التهكمية فى ذهنه اكثر من كل ما رمته به . فهو لا يأبه لادعائها انه جبان ، لانه لا شك لديه فى شجاعته . اما تهمة التهريج فهى أشد ما يكون ايلاما لشخص حاضر البديهة فكه التعبير . اذ أن التهمة فى هذه الحالة تقترب فى أحيان كثيرة من الصواب

ولهذا السبب ضاق بنيديك بهذا التهكم ومقت بياتريس مقتا شديدا لانها رمته بأنه مهرج الامير

***

اما النبيلة هيرو الخجول فلزمت الصمت فى حضور هؤلاء الضيوف النبلاء . وفيما كان الامير بدرو مستغرقا باهتمامه كله فى تتبع المبارزة الكلامية بين صديقه بنيديك . وبياتريس . كان كلوديو يرقب بأعجاب آيات الفتنة التى استحدثها الزمن فى هيئة هيرو

الجميلة ، لانها كانت حقا آنسة بديعة الجمال

وفى أثناء الحديث مال الامير بدرو على أذن الحاكم ليوناتو وقال له :

ـ ان ابنة اخيك يا سيدى شابة خفيفة الروح جدا . ما أحراها أن تكون زوجة فائقة الامتياز لصديقى بنيديك

فاجفل الحاكم وأجاب قائلا :

ـ عفوك يا مولاى . ان أسبوعا واحدا يقضيانه زوجين تحت سقف واحد كاف جدا كى يخرج كل منهما الآخر عن صوابه

بيد ان وجهة نظر ليوناتو هذه لم تحمل الامير على تغيير رايه أو العدول عن نيته فى العمل على الربط بين هاتين القدرتين المتكافئتين فى الفكاهة برباط الزواج

***

ولما انصرف الامير وكلوديو من قصر الحاكم ، اكتشف الامير ان الذى فكر فيه من امر زواج بنيديك وبياتريس لم يكن مشروع الزواج الوحيد الذى نبت فى تلك الزيارة . فهذا هو كلوديو يتحدث الى الامير فى عبارات تنم عن حماسة شديدة لجمال هيرو ، فقطن الامير الى ما يجول بخاطره ، ولم يجد فى ذلك بأسا ، فقال لكلوديو :

ـ هل يميل قلبك الى هيرو ؟

فأجاب كلوديو على ذلك السؤال قائلا :

ـ مولاى الامير : عندما مررنا فى المرة السابقة بمسينا فى طريقنا الى خوض الحرب ، نظرت الى هيرو بعين الجندى الذى يعجب ويميل ، ولكن ليس لديه متسع من الوقت للحب . أما الآن ، ونحن فى هذه الفترة السعيدة من السلم ، فأرى شواغل الحرب وقد تركت مكانها فى ذهنى شاغرة ، فتسللت الى ذلك الموضوع الخالى من نفسى شواغل اخرى تتصف بالرقة والعذوبة ، تراودنى كلها على التشبع بجمال هيرو الشابة ، وتذكرنى اننى ملت اليها قبل أن أخوض مواقع الحرب ، فما احرانى أن أزداد بها اليوم شغفا

ووقع اعتراف كلوديو بحبه لهيرو موقع القبول من الامير بدرو ، فلم يضيع وقتا فى التسويف ، وبادر بالذهاب الى ليوناتو يطلب منه ان

يقبل كلوديو صهرا له فيزوجه من ابنته

ولم يجد الامير بدرو صعوبة تذكر فى اقناع ليوناتو بقبول تلك الخطبة · وكذلك لم يجد عناء فى اقناع الحسناء هيرو نفسها على الاصغاء لتودد النبيل كلوديو اليها ، فقد كان كلوديو متمتعا بشمائل نادرة ، وشريف النسب مكتمل المحاسن

وبوساطة الامير تمكن كلوديو من حمل ليوناتو على تحـــديد موعد قريب لاجراء زواجه من ابنته

ومع ان المدة التى كانت تفصل كلوديو عن يوم الزفاف الى حبيبته الحسناء لم تكن تتجاوز بضعة ايام ، الا انه كان يشـــكو من ملالة الانتظار · وهذا دائما شأن الشبان ، ينفد صبرهم كلما كان عليهم أن ينتظروا اتمام أمر عقدوا العزم عليه

ولكى يهون الامير على صديقه العزيز وطأة الانتظار ، اقترح على كلوديو ان يقطعا الوقت فى تسلية سارة ، بأن يبتدعا حيلة محكمة التدبير تؤدى الى وقوع كل من بنيديك وبياتريس فى حب الآخر

ولشدة ضجر كلوديو ، اقبل بهمة على المشاركة فى تلك النزوة التى طرأت على بال الامير بدرو · ولما اخبر الاثنان الحاكم ليوناتو بما فى نيتهما وعدهما بالمساعدة على نجاح التـدبير · وحتى هيرو نفسها ابدت استعدادها للقيـــام بأى دور يكون فى وسعها عسى ان يؤدى ذلك الى ظفر ابنة عمها بزوج صالح مثل بنيديك

***

وكانت الحيلة التى اهتدى اليها تفكير الامير ، هى ان يتواطأ كلوديو وليوناتو وهو على ايهام بنيديك بأن بياتريس تكن له فى الواقع حبا جارفا · واما هيرو فكان عليها ان تحمل بياتريس على الاعتقاد بأن بنيديك فى الواقع متيم بها رغم الظواهر الخادعة

وشرع الامير بدرو وليوناتو وكلوديو فى القيام بأدوارهم المرسومة أولا · وانتهز الثلاثة فرصة كان فيها بنيديك جالسا يقرأ بهدوء فى ظل اجمة من الاشجار · فتسلل الامير وصاحباه وراء تلك الاجمة بحيث يصل كلامهما الى أذنى بنيديك ، وتصنعوا الانهماك فى حديث عرضى كأنهم لا يعلمون بوجوده بقربهم · وبعد ان تحدثوا فى أمور أخرى ، قال الامير فجأة :

ـ اسمع يا ليوناتو · ما هذا الذى قلته لى ذاك اليوم ·· من ان ابنة أخيك بياتريس مغرمة بحب صديقى السنيور بنيديك ؟

ـ هى الحقيقة يا مولاى

ـ لا تقل هذا يا رجل · فانه لم يخطر لى مطلقا ان هذه الآنسة الحادة اللسان يمكن ان تشغف حبا بأى رجل ؟

ـ وكذلك أنا يا مولاى لم يكن يخطر لى هذا على بال · فمن العجيب حقا ·· غاية العجب ·· ان تحب ابنة اخى الســـنيور بنيديك من دون الناس جميعا ، وهى التى تبدو من سلوكها الظاهرى دائما أنها تكرهه وتنفر منه

وأدلى كلوديو بكلام اكد فيه هذا المعنى ، زاعما ان هيرو كاشفته بما تعرفه يقينا من هيام بياتريس بحب بنيديك وانها حقيقة ان تموت غما ان لم تسعفها الاقدار فيبادلها حبا بحب

وعندئذ انبرى الامير بدرو والحاكم ليوناتو يؤكدان ان هذا أمـر مستحيل تماما لما يعرفانه من نفور بنيديك من سائر الحسان ، ولا سيما الانسة بياتريس ، فهو يزدريها ويمقتها

وعقب الامير بدرو على ذلك كله باظهار رثائه الشديد لحالة الانسة بياتريس ، ثم اردف قائلا :

ـ ليتنا نحيط بنيديك علما بالحقيقة التى يجهلها

فقال كلوديو :

ـ وما الفائدة يا مولاى ؟ انه سينتهزها فرصة ويســـتغل حب الانسة المسكينة له فى تعذيبها والنيل منها

فقال الامير بحدة :

ـ انه ان فعل ذلك لاستحق ان يشنق · فبياتريس آنسة عريقة النسب جميلة ذات صفات عالية وخلق فاضل · ولست ارى فيها ما يعاب عليها سوى اندفاعها فى حب بنيديك ··

وبعد ذلك اشار الامير على رفيقيه ان يتمشوا قليـــلا فى أرجاء الحديقة · وكان قصده من ذلك ان يتركوا بنيديك يخلو الى نفسه ويعيد التفكير فى كل ما فرضوه على أذنيه فرضا .

***

وكان بنيديك قد اصغى باهتمام شديد الى تلك المحادثة ، فلمـــا سمع ان بياتريس تعلق قلبها به قال :

ـ وهل هذا ممكن ؟ انه لامر من اعاجيب القضاء !

ولما انصرف الامير وصاحباه ، أخذ يقلب الامر على شتى وجوهه

بينه وبين نفسه :

ـ لا يمكن ان يكون هذا ملعوبا مدبرا ، قد سمعتهم يتحدثون بكل جد · ثم تأكد النبأ عن طريق هيرو التى يبدو انها تعطف على بنت عمها وترثى لحالها · وما كانت لترثى لها لولا أن حالها بلغ من السوء مبلغا لا يستهان به · فهيرو رزينة عاقلة ·· بياتريس تحبنى أنا ؟ ان هذا لعجيب · انى لم افكر مطلقا فى الزواج ، وكنت أؤكد دائما اننى سأموت أعزب ·· ثم هم يؤكدون ان الفتاة عفيفة فاضلة وجميلة· وانها كذلك فعلا · ولا يرون فيها عيبا او حماقة سوى حبها لى من دون الناس · ولست أنا على كل حال الذى يمكن أن يرى فى هذا أية حماقة أو سوء رأى ولكن ها هى بياتريس قادمة تتمشى فى الحديقة

وجعل يتفحصها بنظرة خلسة من وراء الشجر :

ـ انها حسناء حقيقة · وانى لالمح على وجهها اليوم امارات الحب ، وما يتركه على السحنة من آثار العذاب ··

واقتربت بياتريس منه · وقالت له بما درجت عليه من خشونة واساءة كلما خاطبته :

ـ جئت على غير ارادة منى ، مكلفة بدعوتك الى المائدة

وعلى خلاف عادته ، أجابها بنيديك بكل أدب وتهذيب :

ـ يا بياتريس الحسناء · اشكر لك ما تجشمته من تعب لاجلى !

بيد ان بياتريس لم تعدل عن فظاظتها · ووجهت اليه عبارتين أو ثلاثا محملة بالاستفزاز ، ثم تركته عائدة الى القصر · فجعل بنيديك يقلب تلك العبارات ، ونجح فى تأويل معانيها واستخراج دلائل الميل ، والانعطاف من تحت مظهرها القاسى وعندئذ قال لنفسه :

ـ لئن لم تأخذنى الرحمة بها ، لاكون وغدا سافلا · ولئن لم أجزها بحبها حبا لاكونن من بنى صهيون · لابد أن أحصل على رسمها

أما وقد وقع بنيديك فى الشرك الذى نصبوه له ، فقد حان أوان الخطوة الثانية وهى من نصيب هيرو ، كى تقوم بدورها المرسوم لدى بياتريس كما هو مقرر من قبل

وتنفيذا لهذه الخطة ، أرسلت هيرو فدعت اليها وصيفتين من فتيات الشرف الملحقات بحاشيتها وهما أورسولا ومرجريت ، فقالت لمرجريت :

ـ يا عزيزتى ارجوك أن تسرعى الى حجرة الجلوس ، حيث تجدين ابنة عمى بياتريس تتحدث الى الامير بدرو والسنيور كلوديو · فاسرى فى أذنها اننى وأورسولا نتمشى فى البستان ، وان حديثنا كله يدور عنها · ثم اشيرى عليها ان تسترق الخطو الى تلك

الاجمة المعهودة فى نزهتنا لطيب هوائها وامتداد ظلها ، كى تعرف ما يدور بشأنها

وكانت هذه الاجمة التى ترغب هيرو الى مرجريت ان تستدرج اليها بياتريس ، هى بعينها تلك الاجمة التى كان بنيديك جالسا فيها حين سمع ما دار بشأنه من حديث بين الامير وكلوديو وليوناتو

وقالت مرجريت لهيرو :

ـ اعتمدى على · فأنا ضامنة ان أجعلها تذهب الى هناك حالا

***

وبعد ذلك أخذت هيرو أورسولا معها وذهبتا الى تلك الاجمة فى طرف البستان ، وقالت لها :

ـ اسمعى جيدا يا أورسولا ما سأخبرك به ، ونفذيه بكل دقة

ـ انى مصغية ياسيدتى · واعتمدى على

ـ عندما تأتى بياتريس سنأخذ فى التمشى فى هذا الممر ذهابا وايابا · ويجب ان يكون حديثنا كله عن بنيديك · وعندما أذكر لك اسمه ، فعليك أن تبادرى فى الثناء عليه ثناء لم يظفر به رجل من قبل

ـ هذا أمر ميسور يا سيدتى

ـ وأما أنا فسأحدثك عن بنيديك ، وكيف ان هذا الرجل الذى يتمتع بمزايا نادرة بين الرجال ، حوله حب بياتريس الى رجل شقى القلب لما يراه من صدها له ونفورها منه · والان ابدئى فى الكلام · فانى ألمح هناك بياتريس تتسلل منحنية لتتوارى عن انظارنا وهى قادمة نحونا لتسمع حديثنا

وشرعت هيرو تقول كأنها ترد على كلام وجهته اليها أورسولا :

ـ كلا قطعا يا أورسولا · فهى شديدة التعالى ، وفى طبعها حدة ، وتنفر من الناس ، نفور الطيور الضارية التى تعيش فى الجبال

فقالت أورسولا :

ـ ولكن هل أنت واثقة يا سيدتى ان هذا الفارس الوسيم المقدام بنيديك متيم بحب بياتريس الى هذا الحد ؟

فأظهرت هيرو الدهشة لشك أورسولا وقالت بحماسة :

ـ هذا ما يؤكده الامير بدرو وخطيبى كلوديو · وقد الحا على ان اتوسط لدى بياتريس حتى تعلم حقيقة شعور بنيديك نحوها

ـ وهل تنوين الاستجابة لرغبتيهما فى ذلك ؟

ـ كلا · فقد أوضحت لهما واقنعتهما انهما كانا يحبان بنيديك حقا ، فيجب ان يتحاشيا وصول الخبر الى بياتريس

– معك الحق كل الحق · فليس من الخير مطلقا يا سيدتى ان تعرف بياتريس امر حبه لها ، حتى لا تتخذ نقطة ضعفه هذه وسيلة للنيل منه بتهكمها اللاذع وسخريتها العابثة

فقالت هيرو متصنعة غاية الدهشة :

– الحق اقول لك يا أورسولا انى لم أر فى حياتى رجلا يفـــوق بنيديك فى العقل والنبل والشباب ووسامة الشكل · ولكن ابنة عمى لا هم لها الا التنقص منه ورميه بالمثالب والذم

فقالت أورسولا :

– ان طريقتها فى التجريح غير مستحسنة قطعا

– كلا بالتأكيد ·· ولكن من الذى يجسر ان يقول لها هذا ؟ انى ان فاتحتها فى ذلك لجعلت تهزأ بى حتى لا تبقى منى شيئا

– احسبك يا سيدتى تظلمين ابنة عمك · اذ لا يمـــكن ان تكون مجردة من بعد النظر وصواب الحكم الى حد ان ترفض سيدا نبيلا عزيز المثال مثل السنيور بنيديك

– كلامك فى موضعه · فالسنيور بنيديك يحمل اسما شـــهيرا عريقـا ، ويعتبر فى الواقـع السيد الاول فى ايطاليا ، بعد عزيزى كلوديو طبعا

وعندئذ اشارت هيرو اشارة خفية الى أورسولا ، انه قد حان الوقت لتغيير موضوع الحديث · فقالت اورسولا :

– دعينا من هذا يا سيدتى وخبرينى متى سيتم الزواج ؟

فأخبرتها هيرو انها ستتزوج كلوديو فى اليوم التالى · ورغبت اليها ان تذهب معها لتتفرج على الثياب الجديدة ، ولتأخذ رأيها فيما ينبغى ان ترتديه فى الغد · وانصرفت الغادتان على الاثر

***

وما ان انفردت بياتريس بنفسها ، حتى تنفست الصعداء لانهـــا كانت تصغى باهتمام شديد ، وقد حبست انفاسها حتى لا تنم عنها · ثم قالت :

– أى نار هذه التى صبت فى سمعى ؟ من الممكن ان يكون هـــذا صحيحا ؟ وداعا اذن للازدراء والاساءة وكبرياء العذارى ! وامضى فى حبك يا بنيديك قدما ! فلسوف اجزيك حبا بحب ، وسأروض قلبى الشرود الجامح حتى أضعه هادئا وديعا بين يديك الحانيتين ··

ولا شك انه كان من المطرب جدا ان يشاهد الانسان هذين العدوين القديمين يعدلان الى مودة شديدة وحب حنون · وان يرى الانسان على

الخصوص أول لقاء لهما بعد ان انطلت عليهما الخديعة المزدوجة التى دبرها الامير بدرو

ولكن للاسف الشديد دخل فى الموقف عنصر جديد شاب بالكدر صفو هيرو · فان الغد الذى كان محددا ليوم زفافها ، جلب لهـــا الاحزان ونغص ايضا والدها الطيب الحاكم ليوناتو

فقد كان للامير بدرو أخ غير شقيق اسمه دون جـــون ، عاد من الحرب مع اخيه ونزل معه بمسينا · وكان دون جون هذا رجـــلا سوداوى الوجه منقبض السحنة متبرما بالحياة ، يبدو دائما وكأنه مشغول النفس بالتفكير فى أفاعيل السوء والمؤامرات

وكان دون جون يكره أخاه الامير بدرو ، ويكره ايضا كلوديو لانه صديق الامير · فقرر ان يبذل ما فى وسعه ليحول دون اتمام زواج كلوديو من هيرو ، لا لمغنم يرمى اليه سوى تكدير صـــفو كلوديو والامير بدرو · فهو يعلم ان الامير هو الذى سعى لذلك الزواج ، وان اتمامه يعنيه ويهمه كما يهم كلوديو نفسه

وتوسلا لاتمام هذا الغرض الوبيل الدنىء ، استعان برجل يضاهيه فى الشر اسمه بوراشيو ، واشترى خدماته السافلة بمبلغ طائل

وفى الوقت نفسه كان بوراشيو هذا يعشق مرجريت وصيفة هيرو · فلما عرف دون جون ذلك كلفه أن يجعل مرجريت تتعهد بالتحدث اليه من نافذة مخدع هيرو فى نصف الليل ، بعد ان تكون هيرو قد نامت ، وبشرط ان ترتدى ثياب هيرو حتى تتهيأ اركان الخديعـة ويسهل على كلوديو الاعتقاد بأن هيرو هى التى تكلم بوراشيو على تلك الصورة المريبة · فان ذلك كان هو الهدف الذى يسعى اليه دون جون للوصول اليه

***

وذهب دون جون بعد ذلك الى أخيه الامير بدرو وكلوديو وأخبرهما أن هيرو فتاة عديمة الحياء فاسدة الخلق ، وانها تتحدث الى الرجال الغرباء من نافذة حجرة نومها فى منتصف الليل

وكانت هذه الليلة بالذات هى الليلة التى سيعقبها يوم الزفاف · ولها بطبيعة الحال مكانة خاصة فى نفس كل عروس · فاقدامها فيها على مزاولة العبث يكون ادعى لبشاعة الفعل ووخامة التهمة

وعرض دون جون على الامير وعلى كلوديو أن يأخذهما تلك الليلة بالذات الى حيث يسمعان بنفسيهما هيرو تتحدث الى رجل غريب من نافذة مخدعها · فوافقا على الفور أن يذهبا معه · وقال كلوديو :

ـ اقسم لئن رأيت هذه الليلة ما يدعونى الى العـــدول عن الزواج منها ، أن أصبر حتى يلتئم الجمع فى الغد للاحتفال بالعقد ، وعندئذ أشهر بها على رءوس الاشهاد !

وقال الامير ايضا :

ـ ومن حيث اننى أنا الذى ســـــاعدتك وايدتك على طلب يدها فسانضم اليك وأؤيدك فى فضيحتها

ولما قادهما دون جون الى قرب حجرة هيرو فى تلك الليلة ، شاهدا بوراشيو واقفا تحت النافذة ، ثم رأيا مرجريت تطل من نافذة مخدع هيرو · وسمعاها تتكلم مع بوراشيو · ولما كانت مرجريت مرتدية الثياب عينها التى شاهدها هيرو من قبل فيها ، اعتقد الامير بدرو وكلوديو أن المتحدثة هى بلا شك هيرو

وبلغ غضب كلوديو غاية لا مزيد عليها عند ما وقـــع على ذلك الاكتشاف الخطير · وعلى الفور انقلب حبه لهيرو المسكينة المفترى عليها بغضا وكراهية · وعزم ان يفضحها فى الكنيسة كما اقسم من قبل ، متى اجتمع الناس لمناسبة الزفاف · ووافقه الامير على ذلك ، لانه وجد مثل هذه الانسة المخادعة السيئة السلوك ألتى تحدث الرجال الغرباء من نافذة مخدعها عشية زواجها ، لا تستحق عقابا أهون من ذلك العقاب

***

وفى اليوم التالى ، وقد التأم الجمع للاحتفـــال بالزواج ، ووقف كلوديو وبجواره هيرو أمام الكاهن · واستعد الكاهن لينطق بمراسم الزواج ، وسأل كما هى العادة العريس هل يتخذ هيرو ابنة الحاكم ليوناتو زوجة أمام الله والناس ، اذا بكلوديو يجيب بانفعال شديد وبأسلوب عنيف، معلنا على الملأ جرم هيرو الطاهرة الذيل · فذهلت المسكينة من تلك الالفاظ الغريبة بيد أن وداعتها الفطرية غلبت عليها فقالت :

ـ هل سيدى مريض حتى يدلى بمثل هذه الاباطيل ؟

وأما والدها الحاكم ليوناتو فقد اســـــتولى عليه رعب فظيع ، واتجه بنظره الى الامير بدرو يستنجد به لينقذ الموقف الذى زجهم اليه صديقه وتابعه :

ـ مولاى الامير · لماذا لا تقول شيئا ؟

وماذا عساى ان أقول ، فانى أشعر بخزى شديد ، لانى أوشكت أن أربط شرف صديقى واسمه بامرأة غير جديرة به

ـ ما هذا الذى تقول يا مولاى ؟

ـ أقسم باليوناتو بشرفى ، اننى أنا وأخى وهذا الشـــاب المجنى عليه كلوديو رأينا بأعيننا وسمعنا بآذاننا فى الليلة الماضية ، قرب منتصفها ، سمعنا ابنتك هذه تكلم رجلا غريبا من نافذة مخدعها

فاستولت الدهشة على بنيديك وصاح :

ـ ان هذا ليس عرسا ···

فقالت هيرو صديقة الفؤاد :

ـ صدقت · انقذنى يا الهى !

ثم سقطت مغشيا عليها ، حتى ظن الجميع أنها ماتت غما وخزيا

وانصرف الامير بدرو مع كلوديو من الكنيســـة من غير أن ينتظرا ليريا ماذا حل بهيرو وهـــل تفيق أم لا · ولم يكترثا كذلك بالاسى الفاجع الذى ألقيا فيه بالمسكين ليوناتو فان الغضب والغيظ حجرا قلبيهما

ولم يشأ بنيديك أن ينصرف مع صاحبيه ، فبقى وساعد بياتريس فى افاقة هيرو من اغمائها :

ـ ماذا حدث لها ؟

ـ أظنها ماتت · يا لبنت عمى المسكينة !

فان بياتريس كانت تحب بنت عمها كثـــيرا ، وتعـــرف أخلاقها القويمة ، فلم تصدق حرفا مما سمعته يعزى اليها

أما أبوها المسكين فلم يكن هذا حاله · اذ صدق ما قيل عن عـــار ابنته · فكان نواحه على الـــكارثة التى حلت بشرفه وشرفهـــا يفتت القلوب ، وهى ملقاة أمامه كالميتة ، وكان يرفع يديه الى الســـماء أمام الهيكل صارخا الى الله أن يلطف به فلا يقدر لها أن تفتح عينيها !

بيد أن الراهب العجوز فرنسيس كان رجلا عاقلا حصيفا ، واسع الدراية بالطبيعة البشرية · وكان قد راقب باهتمام سحنة هيرو وهى تسمع الاتهام الفظيع يلقى فى وجهها بصوت جهير · فرأى ألف علامة من علامات الاستياء والخجل ترتسم على وجهها · ثم غاضت تلك الدماء كلها فغدا وجهها أبيض ناصعا كوجوه الملائكة وفى عينيها لمح وميضا هو أقطع تكذيب للخطأ الذى تردى فيه الامير بتوكيـــد التهمة ضد طهارتها · فقال الراهب لأبيها المحزون كل ذلك ، ثم أردف قائلا :

ـ لأكونن مغفلا لا يوثق له برأى أو فهم أو اطلاع ، ولا أســـتحق ما ينبغى لسنى من توقير ، ان لم تكن الآنسة بريئة ممـــا رميت به ، وضحية خطأ شائن

ولما أفاقت هيرو من غشيتها قال لها الراهب :

ـ من يا سيدتى هذا الرجل الذى اتهموك به ؟

فأجابته على الفور :

ـ يعرفه من يتهمونني . أما أنا فلا أعرف أحدا

ثم التفتت الى والدها ليوناتو وقالت له :

ـ أى والدى العزيز : ان استطعت أن تقيم البرهان على أن أى رجل تحدث الى فى يوم من الايام أو ليلة من الليالى فى ساعة غير لائقة ، أو اننى فى الليلة الماضية تبادلت الكلام مع أى مخلوق أثناء الليل ، فلك أن تتبرأ منى ، وتمقتنى وتعذبنى حتى الموت

فقال الراهب العجوز :

ـ هناك لبس وقع فيه الامير وكلوديو ، لا شك فى ذلك عندى

ثم نصح الراهب لليوناتو أن يشيع نبأ وفاة هيرو . وسيساعد على تصديق ذلك شدة الغيبوبة التى شوهدت تسقط فيها بغيبوبة الموت. وأن يرتدى الحداد عليها ويقيم شاهدا فوق قبر يحمل اسمها ، ويتخذ سائر المراسم التى تتصل بالجنازات فسأله ليوناتو :

ـ وما الغرض من ذلك ؟

فأجاب الراهب قائلا :

ـ ان اشاعة نبأ وفاتها ستحول الشماتة الى رثاء وهذا فى حد ذاته خير وكسب . ولكن ليس هذا هو كل الكسب الذى نرمى اليه . فانه حينما يسمع كلوديو انها ماتت من تأثير كلماته ، سيدب الى قلبه الندم ، وستبعث محاسن حياتها واضحة فى مخيلته . فان كان قد حمل لها فى قلبه ذرة من الحب والاهتمام فسوف يحزن عليها ويتمنى لو لم يقذفها بتلك التهم ، مهما كان اعتقاده أن تلك التهم مطابقة للحقيقة

وعندئذ قال بنيديك :

ـ اتبع يا ليوناتو مشورة الكاهن الفاضل . وثق أنه مع حبى للامير وكلوديو ، الا أننى أقسم بشرفى ألا أفشى لهما هذا السر

فاقتنع ليوناتو على مضض وخضع لذلك الرأى وهو يقول بانكسار :

ـ لقد أطاش الغم صوابى ، وهدم ارادتى ، حتى يستطيع غلام صغير أن يقودنى حيث يشاء

وبعد ذلك أخذ الراهب ليوناتو وهيرو الى خارج الكنيسة ليسرى عنهما ، وبقيت بياتريس وبنيديك وحدهما

كان بنيديك هو أول من تكلم . ويجب ألا ننسى أن هذا أول اجتماع لهما بعد تنفيذ الخدعة المزدوجة . فقال :

ـ سيدتى بياتريس : هل بكيت كثيرا فى هذه الفترة ؟

ـ أجل . وسأبكى فيما يلوح أمدا طويلا

ـ اننى اعتقد كل الاعتقاد أن ابنة عمك مفترى عليها ومظلومة

ـ . أجل . وان الرجل الذى يفلح فى انصافها ليكونن أهلا منى لخير كثير

ـ ليتنى أستطيع ذلك . ولكن هل من سبيل اليه ؟ فانى لا أحب شيئا فى الدنيا كما أحبك . أليس هذا غريبا ؟

ـ كان فى استطاعتى أن أقول لك أيضا أننى لا أحب فى الدنيا شيئا كما أحبك . ولكنى لا أؤكد ذلك ولا أنفيه فى الوقت الحاضر لاننى متداعية النفس حزنا على ما أصاب ابنة عمى زورا وبهتانا

ـ لعمرى أنت تحبيننى ، وأنا أؤكد أنى أحبك ، فهيا مرينى بما شئت أصنعه من أجلك مهما كلفنى

فقالت بياتريس على الفور :

ـ اقتل كلوديو !

ـ ها ها ! الا هذا ـ فلا افعله ولو للظفر بالدنيا بما رحبت !

فقد كان بنيديك يحب صديقه كلوديو ويعتقد أنه ضحية احتيال

ـ أليس كلوديو هذا سافلا ، حتى لقد أقدم على التشهير بابنة عمى وتلويث شرفها ؟ ليتنى كنت رجلا !

ـ على رسلك يا بياتريس . اصغ لى

ولكن بياتريس لم تشأ أن تصغى لاى دفاع عن كلوديو ، وواصلت استفزاز بنيديك لينتقم لابنة عمها المظلومة

ـ يا لها من تهمة ! يا له من افك وبهتان ! هيرو تكلم رجلا من النافذة ؟ هيرو الوديعة العفيفة ؟ انها مظلومة . مفترى عليها . كم أتمنى لو كنت رجلا كى ألقاك يا كلوديو وأنزل بك ما تستحق ! أو ليت لى صديقا يرضى أن يكون رجلا من أجلى ! ولكن النخوة ضاعت معالمها فى هذه الايام وانحطت فاتخذت صورة ألفاظ منمقة وانحناء وتحيات . لا تكفى الرغبة كى أكون رجلا ولهذا سأموت بحسرة امرأة !

ـ أقسم لك يا بياتريس . أقسم بذراعى ويدى أنى أحبك

فاجابته بياتريس ساخرة :

ـ استعمل يدك فى حبى بصورة أخرى سوى اتخاذك اياها وسيلة للقسم ، ان كان ذلك فى مقدورك

فقال بنيديك يسألها :

ـ أتقسمين بروحك أن كلوديو ظلم هيرو ؟

ـ أجل ظلمها . انى واثقة من ذلك ثقتى من عقلى وروحى

ـ كفى ! قبلت المهمة · سأتحداه للمبارزة · والان سأقبل يدك ثم أتركك · وانى لاقسم بهذه اليد أن كلوديو سيؤدى لى حسابا عسيرا ! وعندما تصلك الانباء أذكرى أننى قمت بما طلبته منى · والان اذهبى للتخفيف عن بنت عمك

***

وفى الفترة التى انقضت فى المشهد السابق ، وبياتريس تحفز بنيديك كى ينتقم لشرف بنت عمها المثلوم ، وينتصف لحقها المهضوم بمنازلة صديقه الحميم ، كان ليوناتو والد هيرو يتحدى الامير بدرو والسنيور كلوديو أن يبارزاه ردا للاهانة التى ألحقاها بابنته ، تلك الابنة التى أكد لهما وفاتها غما وكمدا لذلك الاتهام الظالم

بيد أن الامير وكلوديو راعيا تقدمه فى السن ، ووقوعه تحت تأثير سورة الحزن · وأبيا حتى لا يقتلاه

وفى هذه اللحظة أقبل بنيديك ، فاذا به يتحدى كلوديو أن يحتكم معه الى السيف فى الاهانة التى ألحقها بالانسة هيرو ، ولا عذر لكلوديو فى التقاعس عن مبارزته فهو شاب ورقيق فى الفروسية والسلاح

وتبادل كلوديو والامير بدرو النظرات · وقال كل منهما للاخر :

ـ لا شك أن بياتريس هى التى دفعته الى هذا المسلك

ولم تكن هناك مندوحة أمام كلوديو من قبول تحدى بنيديك ، لو لم تشأ عدالة السماء فى تلك اللحظة أن تبعث برهانا ليس بعده برهان ، أقوى وأقطع من برهان الاحتكام الى السيف ، على أن هيرو شريفة عفيفة بريئة كل البراءة مما رميت به

ففيما كان الامير وكلوديو يتداولان بشأن تحدى بنيديك ، اذا بشرطى قد أتى ببوراشيو سجينا أمام الامير · فقد سمع بوراشيو يتحدث الى صاحب له عن التدبير الخسيس الذى أغراه الدون جون باقترافه

واعترف بوراشيو اعترافا كاملا بين يدى الامير بدرو ، وعلى مسمع من كلوديو ، مقرا أن مرجريت تخفت فى ثياب مولاتها وتحدثت اليه من نافذة مخدع هيرو ، حتى تلقى التهمة على تلك السيدة · فتلاشى من ذهن الامير وكلوديو كل شك فى براءتها

وحتى لو انه بقى لديهما أثر من شك ، فقد كان كفيلا بتبديده فرار الدون جون من مسينا عندما علم افتضاح تدبيره الوضيع ، حتى لا يحيق به غضب أخيه الامير بدرو

تلاشى الشك من فؤاد كلوديو · ولكنه طفح بالندم والغم لما وصم به هيرو ظلما وعدوانا ، حتى ماتت كما توهم · وبعث لديه حبها أشد مما كان فى بداية الامر

أما الامير بدرو فكان نهبا للحزن والاستياء والخجل ، وجعل يسأل كلوديو :

ـ ألا تشعر أن ما سمعته كأنه سيف من الفولاذ اخترق صدرك حتى المقبض ؟

ـ بل شعرت كأننى تجرعت السم مع كل كلمة تفوه بها بوراشيو

ثم اتجه كلوديو الى الشيخ ليوناتو يتوسل اليه أن يغفر له ما أصاب به ابنته ، ويقسم أن يقدم على أى كفارة يطلبها منه ليوناتو ويراها كافية لمحو ذلك الذنب الذى اقترفه فى حق خطيبته المحبوبة

وكانت الكفارة التى فرضها ليوناتو عليه غريبة فى بابها · فقد حتم عليه أن يتزوج فى اليوم التالى ابنة عم لهيرو ، أصبحت وريثته من بعدها ، وتشبه هيرو من جميع الوجوه

ولم يجد كلوديو مفرا من الاذعان أمام التعهد الذى ارتبط به سلفا، فقال انه مستعد أن يتزوج تلك الانسة المجهولة ، حتى ولو كانت حبشية

وانصرف كلوديو منكس الرأس محطم النفس ، فقضى الليل بطوله لا يرقا له دمع ، ولا يستقر له رقاد من لواعج الندم والاسف ، فاستقر سائر ليلته قائما على شاهد المقبرة التى أقامها ليوناتو لهيرو !

***

ولما طلع الصباح صحب الامير بدرو صديقه كلوديو الى الكنيسة مرة أخرى ، ليبر بالوعد الذى آلاه على نفسه بالامس

وفى الكنيسة كان الراهب فرنسيس الصالح ومعه ليوناتو وابنة أخيه بياتريس · ثم قدم ليوناتو الى كلوديو عروسه الجديدة ، وقد ألقت على وجهها خمارا كثيفا وطلب من كلوديو ألا يكشف النقاب الا بعد الزواج

وقال كلوديو للسيدة المقنعة :

ـ امنحينى يدك أمام هذا الكاهن المقدس · فانى أريد أن أكون زوجا لك اذا قبلت الزواج منى

فأجابته السيدة المجهولة :

ـ ولكنى عندما كنت على قيد الحياة كنت زوجتك الاخرى !

ثم أماطت اللثام عن وجهها ، فتبين فيها كلوديو على الفور هيرو بلحمها ودمها لا ابنة عم لها كما كان يظن

وما من شك أن هذه المفاجأة كانت أبهج ما يمكن لقلب كلوديو المسكين الذى كان يظنها ماتت ، ويظن نفسه مسئولا عن وفاتها بظلمه وغفلته . فلبث برهة طويلة لا يصدق عينيه وحواسه

أما الامير بدرو فكان وقع المفاجأة عليه لا يقل عن وقعها على صديقه ، فراح يهز ليوناتو صائحا :

ـ أليست هذه هيرو ؟ هيرو التى ماتت ؟

فقال ليوناتو باسما :

ـ ولكنها لم تمت يا مولاى الا ريثما تموت الفرية التى رميت بها

وابتسم الراهب فرنسيس ووعد الامير وكلوديو بتفسير شاف لهذه المعجزة بعد أن تتم مراسم الزواج

وأوشك أن يقدم على اتمام ما هو بسبيله ، لولا أن قاطعه بنيديك ملحا أن يتم فى نفس الوقت زواجه من بياتريس

وشاءت بياتريس أن تظهر شيئا من التمنع على عادة الفتيات ولكن بنيديك تحداها فواجهها أنه يعرف هيامها به ، وأن هيرو هى التى نقلت اليه ذلك فلا محل للمراوغة

وبطبيعة الحال انكشفت الحيلة ، وأعقب ذلك توضيح للمسألة من جميع أطرافها . ولكن بياتريس وبنيديك بعد أن اكتشفا انهما كانا ضحية عبث مزدوج ، اكتشفا كذلك أن تلك الاكذوبة آتت ثمارها وجعلتهما عاشقين حقا وصدقا

ومع ذلك لم تفارقهما طبيعة المرح والمشاغبة اللاذعة ، فتصنع بنيديك التورط ، وقال :

ـ اعلمى اننى لا أتزوجك الا شفقة عليك أن تموتى وجدا !

فانتفضت بياتريس متصنعة الغضب ، وقالت :

ـ وأنا لم أنزل على رغبتك الا لانقذ حياتك ، بعد الذى سمعته من اصابتك بسهم لحاظى فى مقتل !

وهكذا اجتمع الندان ، وبعد أن تم زواج كلوديو وهيرو تم زواج بياتريس وبنيديك على الفور

وكى تتم عدالة السماء ، أدرك المطاردون دون جون فى فراره وجىء به ليتم الانتقام منه بأن يشهد الولائم والاحتفالات ومعالم الابتهاج والسرور تملأ مسينا ، حيث دبر أن يسود الوجوم والعار

کیفما تریدِ

شخصيات الرواية

• الدوق	«Duke»	: ويعيش فى المنفى
• فردريك	«Frederick»	: اخوه ومغتصب عرشه
• امينس • جاك	«Amiens» «Jaques»	: قائمان على خدمة الدوق المنفى
• الجميل	«Le Beau»	: من حاشية فردريك
• اوليفر	«Oliver»	
• جاك • أورلاندو	«Jacques» «Orlando»	: ابناء السير رولاند دى بويز
• آدم • دينس	«Adam» «Denis»	: خادمان لاوليفر
• سير أوليفر مارتكست	«Sir Oliver Martext»	: أسقف
• كورين	«Corin»	
• سلفيوس	«Silvius»	: راعيان
• وليم	«William»	: ريفى عاشق لاودرى
• روزالند	«Rosalind»	: ابنة الدوق المنفى
• سيليا	«Celia»	: ابنة فردريك
• فيبى	«Phebe»	: راعية غنم
• أودرى	«Audrey»	: فتاة قروية

ولوردات ، ووصفاء ، وأتباع ومهرج

كيف مات سير رولاند دى بويز

فى العهد السالف الذى كانت فيه فرنسا مقسمة الى مقاطعات تسمى دوقيات ، كان يحكم احدى تلك المقاطعات مغتصب خلع عن عرش الدوقية أخاه الاكبر ودوقها الشرعى ونفاه خارج الحدود

واعتزل الدوق المخلوع هو وحفنة ضئيلة من اتباعه المخلصين فى غابة أردن · وهناك عاش هذا الدوق الصالح مع احبائه الذين ارتضوا لانفسهم حياة الغربة والمنفى بمحض ارادتهم حبا فى هذا الدوق ، تاركين ضياعهم وايرادات املاكهم نهبا لذلك المغتصب الاثيم

وسرعان ما تعودوا هذه الحياة الهينة السهلة الخالية من المراسيم والتكاليف ، وعاشوا على فطرة الطبيعة ، فأصبحت أحب الى نفوسهم من حياة البلاط الضخمة ، التى تكتنفها المتاعب ، وتتحكم فيها نصوص البروتوكول · فهم فى تلك الغابة الفرنسية ، يحبون تلك الحياة التى كان يحياها روبين هود فى الزمان الغابر فى بريطانيا · والى هذه الغابة كان يقصد فى كل يوم كثير من الشباب ابناء النبلاء فارين من البلاط ، ليعيشوا تلك المعيشة المنطلقة على الفطرة من غير حساب للزمن · ففى الصيف يستلقون فى ظل اشجار الغابة الضخمة يرقبون الغزلان الوحشية فى مرحها · وقد أحبوا تلك الوحوش الرشيقة الجميلة حتى كانوا يتألمون لاقدامهم احيانا على قتل شىء منها ليحصلوا على الطعام الضرورى

وحينما تهب رياح الشتاء الباردة ، كان الدوق يتذكر مصيره المظلم الذى أبعده عن الحرارة امام مواقد قصره ، بيد انه كان يتجلد فى صبر ويقول :

ـ ان هذه الرياح القارصة التى تهب على بدنى بمثابة مستشارين صادقين لا يخدعوننى بالتملق ، بل يصورون لى حالتى بأمانة · ولئن كانوا يعضوننى بأسنان حداد ، فأسنانهم ليست شيئا مذكورا بالقياس الى أنياب الجحود والبغضاء والحسد · ومهما أطال الناس

فى الكلام على تقلبات الزمن ، فهناك ولا شك منـــافع كثيرة يمكن استخلاصها من تلك التقلبات كما تستخلص مادة الترياق الثمينة من لعاب الافعى

وعلى هذا النحو كان الدوق الشجاع الصبور يستنبط المواعظ النافعة من كل شىء تقع عليه عيناه ، وبفضل هذه المزية استطاع أن يجد للاشجار لسانا ، وأن يطالع فى تموجات الجداول كتبا ، وان يتلو فى الصخور عظات !

***

وكان لهذا الدوق المنفى ابنة وحيدة اسمها روزالند احتجزها عمها المغتصب الدوق فردريك فى بلاطه لتكون رفيقة لابنته سيليا ، فنشأت صداقة وطيدة بين الفتاتين ، لم يؤثر فيها ما بين والديهما من خصومة وخلاف ، حتى ان سيليا كانت تنتهز كل فرصة لتبذل كل ما فى مقدورها تعويضا لروزالند عن جور أبيها حين خلع عن عرش الدوقية والد روزالند

وكلما طاف الحزن بروزالند اذ تتذكر والدها المبعد ، وحياتها فى كنف هذا المغتصب الجائر ، كانت سيليا تجتهد كل الاجتهاد فى الترفيه عنها وتعزيتها ما استطاعت الى ذلك سبيلا

وفى ذات يوم ، كانت روزالند واجمة كما يحدث لها احيانا كثيرة ، فقالت لها سيليا بحنان ورفق :

ـ اتوسل اليك يا ابنة عمى العزيزة ان تبتهجى وتتركى الحزن

واذا برسول من الدوق يدخل عليهما ليدعوهما ، ان ارادتا ، الى مشاهدة مباراة فى المصارعة ستقام فورا فى الساحة الواقعة امام القصر .. ووجدت سيليا فى هذه المباراة فرصة لادخال السرور والسلوى على قلب روزالند ، فوافقت على الذهاب لمشاهدتها

وكانت المصارعة فى ذلك الزمان هى الرياضة المفضلة فى بلاط الامراء ، وتشهدها الاميرات والنبيلات . والى تلك المباراة توجهت سيليا وروزالند فاكتشفتا ان مباراة اليوم توشك ان تتمخض عن مشهد فاجع جدا . ذلك ان مصارعا ضخما محترفا ، طويل الخبرة بفنون تلك الرياضة ، وسبق له ان قتل فى مباريات من هذا النوع رجالا كثيرين ، كان سينازل اليوم شابا صغيرا جدا ليست له أية خبرة فى ذلك الفن ، فاعتقد الجميع انه مقتول فى هذا اليوم لا محالة

ولما رأى الدوق سيليا وروزالند قال لهما :

ـ هل أتيتما لتشاهدا المصارعة ؟ انكما لن تسرا بمباراة اليوم لان الفرق بين الرجلين هائل . وكم اتمنى شفقة بهذا الشاب ان يعدل عن المنازلة . فكلماه انتما فى هـــذا الشـــأن عسى ان يلين لوساطتكما

وراق للآنستين ان تقوما بهذه المهة الانسانية . وبدأته ســـيليا بمناشدته ان ينسحب من المباراة . ثم بعد ذلك كلمت روزالند الشاب الغريب برقة شديدة وباعتبار دقيق للخطر الذى أوشك أن يتردى فيه ، بحيث اتى كلامهما بعكس الغرض منه ! فبدلا من أن يقتنـع بكلامهما العذب فينسحب ، اصبح كل همه موجها الى اظهار تفوقه وشجاعته ليظفر بالاعجاب فى نظر هاتين الانستين الحســـناوين ، ولذلك اعتذر عن اجابة رغبة سيليا وروزالند اعتذارا لبقا مهذبا ، زادهما قلقا به وهما عليه ، وختم اعتذاره قائلا :

ـ انه ليؤسفنى الا أجيب آنستين فى جمالكما وعلو مكانتكما الى اى شىء تطلبانه ، ولكن أرجو ان تتبعنى الى ميدان المصارعة عيونكما الجميلة وتمنياتكما النبيلة ، فاذا قدرت لى الهزيمة فقد استحققت العار ، وان قدر لى الموت فقد سعيت اليه بقدمى ، وانى ان مت فلا ضير من ذلك على احد ، لانه ليس لى أهل ولا صديق ، ولن يتأذى من ذلك أحد لانه ليس فى الدنيا من أعوله . ومكانى فى الدنيـــا سيملؤه من هم اولى به منى حين اخلى بمنيتى هذا المكان

وبعد ذلك بدأت مباراة المصارعة . وتمنت سيليا الا ينال هـــذا الشاب الغريب أذى . اما روزالند فكان شعورها نحوه أشد واقوى . فان حالته التى وصفها من انعدام الاهل والاصدقاء وهوان المكانة حتى بات يرحب بالموت ، كل ذلك جعل روزالند تقرن شقاء حاله بشقاء حالها ، فعطفت عليه عطفا كبيرا وفاض قلبها بالرحمة له . واهتمت كل الاهتمام بما يخف به فى المصارعة من خطر كبير ، حتى لاوشك اهتمامها فى تلك الساعة ان ينزلق بها الى حبه

وفى الوقت نفسه زود عطف هاتين النبيلتين الحسناوين الشاب المجهول بشجاعة وقوة ، حتى صنع الاعاجيب ، وتمكن فى النهـــاية من قهر خصمه الذى اصيب بضربات اليمة جعلته عاجزا مدة طويلة عن الكلام والحركة

وسر الدوق فردريك سرورا عظيما للشجاعة والبـــراعة اللتين ابداهما هذا الشاب الغريب ، واحب ان يعرف اسمه ونسبه ، لانه صمم على أن يشمله برعايته وحمايته ويضمه الى أنصاره وبطانته

وقال الغريب المنتصر ان اسمه اورلاندو ، وانه اصغر ابناء السير رولاند دى بويز

وكان السير رولاند دى بويز والد اورلاندو قد مات منذ بضع سنوات • ولكنه كان فى مدة حياته تابعا مخلصا وصديقا حميما للدوق المنفى • فلما سمع فردريك ان أورلاندو هو ابن صديق لاخيه المخلوع، انقلبت محبته لهذا الشاب المقدام الى نفور وكراهية ، وغادر المكان وهو يغلى بالغضب وضيق الصدر • فان كراهيته ان يسمع اسم أى واحد من أنصار أخيه ، طغى على اعجابه ببسالة هذا الشاب ، حتى انه قال وهو منصرف :

ـ ليت أورلاندو كان ابن أى رجل آخر

اما روزالند فابتهجت لما سمعت ان هذا الشاب ابن صديق قديم لابيها ، وقالت لابنة عمها سيليا :

ـ ان أبى كان يحب السير رولاند دى بويز ، ولو انتى عرفت ان هذا الشاب ابنه ، لشفعت توسلاتى اليه ليحجم عن هذه المغامرة بدموع غزيرة

واتجهت الآنستان الى أورلاندو ، فوجدتاه محزونا لما أبداه الدوق من استياء مفاجىء ، فوجهتا اليه عبارات تشجيع رقيقة ، وقبل ان تنصرفا التفتت روزالند خلفها وكلمت ابن صديق ابيها الشاب الشجاع بمزيد من التلطف ، وانتزعت من عنقها سلسلة وقالت له :

ـ البسها يا سيدى تذكارا منى ، ولو لم أكن فى ادبار من الدنيا وحظوظها لمنحتك هدية اجمل واثمن

وحتى بعد ان خلت الفتاتان الى نفسيهما ، ظل حديث روزالند عن أورلاندو مستمرا • فبدأت سيليا تعتقد ان بنت عمها تعلقت بحب هذا المصارع الجميل الشاب ، وقالت لروزالند :

ـ أمن الممكن أن تحبيه هكذا دفعة واحدة ؟

ـ ان الدوق والدى كان يحب أباه حبا عظيما

ـ ولكن هل يلزم من ذلك أن تحبى انت ابنه حبا عظيما ؟

ـ ولم لا ؟

ـ لانه ان لزم من حب ابيك لابيه ان تحبى انت الابن ، للزم من ذلك أن أكرهه انا لان ابى يكره اباه ، ولكن لا أجد نفسى اكره أورلاندو

***

ونعود الى الدوق فردريك وقد أسخطه اشد السخط مرأى ابن

السير رولاند دى بويز ، الذى ذكره باصدقاء كثيرين وانصار محبين تتعلق أفئدتهم بالدوق المنفى ، وهم منبثون فى صفوف الاشراف من أهل الدوقية

وكان فردريك يشعر منذ مدة بالاستياء من ابنة اخيه روزالند لانه وجد الناس يثنون عليها لفضائلها ، ويعطفون عليها من أجل ابيها الصالح ، فثار سوء نفسه فجأة ضد الفتاة

وفيما كانت سيليا وروزالند تتحدثان عن أورلاندو على الصورة السالفة ، اذ دخل فردريك الحجرة ، وأمر روزالند على الفور بصورة عنيفة جارحة أن تغادر القصر ، وتلحق بأبيها فى منفاه ، فتوسلت اليه سيليا أن يرجع عن هذا الامر ، فلم يلتفت الى توسلاتها وقال لها أنه لم يحتمل بقاء روزالند حتى الان الا من أجل خاطرها ، فقالت سيليا :

ـ ولكنى حين خلع والدها لم اتوسل اليك أن تبقيها ، لانى كنت أصغر يومئذ من أن أعرف قدرها ، اما الان فأنا أعرف قيمتها ، وقد توثقت بيننا الالفة ، نمنا معا وصحونا معا ودرسنا ولعبنا وأكلنا معا، لم يعد فى استطاعتى أن أعيش بعيدا عن صحبتها

فقال لها فردريك :

ـ انها شديدة المكر جدا بحيث لا تدركين بعد أغوارها ، فنعومتها وسكونها وصبرها وتجلدها ، كل أولئك السنة تنطق باسمها لدى الناس فيعطفون عليها • وانك لحمقاء اذ تدافعين عنها ، لانك ستزدادين بهاء ، وتتجلى مزاياك حين ترحل عنك وتترك لك المجال وحدك • فلا تفتحى فمك بالتوسل لها ، لان القضاء الذى قضيته فى أمرها لا مرد له

فلما أيقنت سيليا انها لن تستطيع ان تقنع اباها باستبقاء روزالند، قررت على الفور أن تصحبها ، وتركت فى تلك الليلة عينها قصر أبيها ، ومضت مع صديقتها تنشدان والد روزالند الدوق المنفى ، فى معتزله بغابة اردن

***

وقبل الرحيل ، قدرت سيليا انه ليس من المأمون ان تسافر شابتان فى مثل ثيابهما الغالية التى ترتديانها • فاقترحت ان تخفى حقيقة حالهما ومكانتهما ، بالتنكر فى ثياب بنات الفلاحين

وعندئذ قالت روزالند :

ـ فكرة صائبة ، وأكثر منها امعانا فى الامان وطلبا للهمان أن ترتدى احدانا ثياب الرجال

وراقت الفكرة على الفور لسيليا ، ولما كانت روزالند هى أطول الفتاتين فقد وقعت عليها القرعة لترتدى ثياب شاب قروى ، وارتدت سيليا ثياب فتاة قروية . واتفقتا على أن تدعيا انهما اخوان . واتخذت روزالندا اسم جانيميد . واختارت سيليا لنفسها اسم اليينا

وفى هذا الزى التنكرى خرجت الفتاتان بعد أن حملتا معهما ما كان تحت ايديهما من الحلى والنقود ، قاصدتين غابة اردن وهى على سفر طويل جدا ، فيما وراء حدود الدوقية

وكأنما حلت فى روزالند أو « جانيميد » خصائص الرجولة وشجاعتها ، بمجرد ان اتخذت زى الرجال . وصار هذا الاخ جانيميد شديد الرعاية والعطف على أخته التى أبت الا أن تلازمه فى رحلته الشاقة ولا تفارقه ، وكان يرفه عنها بروحه العالية ودعاباته

ولما وصل الاخوان المزعومان الى غابة أردن ، لم يجدا هناك الفنادق المريحة ووسائل الحياة التى كانا يجدانها فى الحانات المنتشرة على طول الطريق

وكان الجوع قد أخذ منهما مأخذه وحاجتهما الى الراحة بعد السير الطويل صارت ملحة . حتى أن جانيميد الذى طالما هون المتاعب على شقيقته بحديثه الضاحك وملاحظاته الفكهة طول الرحلة ، اعترف لاليينا انه بات فى شدة الاعياء ، حتى لقد نازعته نفسه أن يدنس ملابس الرجال التى يرتديها ، فيبكى كما تنوح النساء !

وأما اليينا فأعلنته أنها لم تعد تستطيع ان تخطو خطوة أخرى . فحاول جانيميد ان يستجمع اشتات رجولته التى تفرض عليه مساعدة المرأة والترفيه عنها وان يبدو امامها شجاعا قويا ، فقال :

– هيا يا أختى اليينا . تجلدى ، فقد أصبحنا فى ختام رحلتنا ، وبلغنا غابة أردن ..

بيد أن هذه الرجولة المصطنعة والشجاعة المخترعة لم تأت بنتيجة. فمع أنهما كانا فعلا فى غابة اردن ، الا انهما لا يدريان اين يجدان الدوق .. ولم يجدا حيلة لحل الموقف

***

وكان من الممكن ان ينتهى ذلك السفر الطويل الشاق الى نهاية محزنة ، بالتيه فى الغابة والهلاك جوعا لعدم توفيقهما الى طعام . لولا ان العناية ادركتهما برحمتها

وفيما كان جالسين على العشب وقد اشرفا على الهلاك تعبا ، ويئسا

من العثور على ما يأكلان ، اتفق مرور قروى فى ذلك الاتجاه . فخاطبه جانيميد متخذا ما يليق بالرجولة من لهجة الجرأة :

– أيها الراعى . ان كان المعروف أو كان الذهب يمكن ان يأتينا فى هذا المكان المقفر بما نأكله ، فانى ارجوك ان تدلنا على مكان نستطيع فيه ان نستريح من متاعب السفر . فهذه الفتاة أختى اتعبها السفر جدا ، وتوشك أن يغمى عليها من الافتقار الى الطعام

وأجاب الرجل انه ليس راعيا ، وانما هو خادم لاحد الرعاة ، وان بيت سيده يوشك أن يباع ، ولهذا لن يجدا فيه ألا القليل جدا من الزاد ، فان شاءا أن يصحباه الى هناك ، ففى وسعهما ان يأكلا الموجود

ولم يكن امامهما خيار ، فتبعا الرجل . وقد امدهما الامل بقوة جديدة . وهناك اشتريا البيت المعروض للبيع ، واشتريا ايضا اغنام الراعى ، والحقا الرجل الذى قادهما الى هناك بخدمتهما

وهكذا ساقت اليهما المصادفة كوخا انيقا بما يلزم لمعيشتهما ، وقطيعا يمدهما بغذائهما . واستقر رأيهما أن يمكثا هناك الى أن يعرفا بالضبط أى موضع من الغابة يقيم الدوق المنفى

***

وبعد أن استجما من وعثاء الرحلة ، بدآ يألفان نمط حياتهما الجديد ، وتخيلا نفسيهما بسرور راعيا وراعية . فاستمرا فى تمثيل ذلك الدور

ومع هذا كان جانيميد فى بعض الاحيان يتذكر انه كان فى يوم من الايام يدعى روزالند ، وان روزالند كانت تحب بكل قلبها الفتى الباسل أورلاندو ، ابن السير رولاند صديق ابيها

وكان جانيميد يظن أن أورلاندو بعيد عن هذا المكان أميالا كثيرة جدا ، هى تلك الاميال التى قطعاها فى رحلتهما . ولكن سرعان ما اتضح ان أورلاندو كان فى غابة أردن . واليكم كيف حدث ذلك الشىء الغريب :

أن أورلاندو هو أصغر ابناء السير رولاند دى بويز . فلما مات السير رولاندو ، أوصى وهو على فراش الموت ابنه الاكبر أوليفر ان يرعى الطفل الصغير أورلاندو احسن رعاية ، ويربيه أفضل تربية ، ويهيىء له من اسباب المعيشة والمظهر ما يليق بكرامة بيته العريق

وأثبتت الايام أن أوليفر لم يكن عند ظن ابيه ، فتجاهل وصيته وهو يلفظ انفاسه الاخيرة ، فلم يبعث بأخيه الى المدرسة ، بل أبقاه

فى البيت من غير تعليم ، واهمل تربيته اهمالا تاما

بيد ان فطرته القويمة ومزاياه العقلية التى تشبه مزايا ابيه الفاضل جعلته يبدو رغم حرمانه من التربية مثل الشباب الذين ظفروا فى نشأتهم بأعظم عناية ، حتى ان اوليفر كان يحسده على ألمعيته الطبيعية واتزان سلوكه ووقار مظهره

وفكر اوليفر ان يتخلص من أورلاندو . فأوعز الى الناس ان يزينوا للفتى مناظرة مصارع شهير ، فى مباراة علنية مشهورة . وقد اشتهر هذا المصارع بقتله عددا كبيرا ممن نازلوه

وكان اهمال هذا الاخ الظالم لاورلاندو هو السبب الرئيسى الذى حداه الى القول بأنه يتمنى الموت ، لانه لا صديق له فى الدنيا

فلما خاب ظن أوليفر ، وتغلب أورلاندو على خصمه الهائل ، تجاوز غيظ أوليفر كل حد وأقسم ان يحرق الحجرة التى كان ينام فيها أورلاندو

ولحسن الحظ سمعه وهو يدبر تلك المكيدة خادم عجوز من خدم أبيه المخلصين كان يحب أورلاندو حبا لا مزيد عليه ، لما بين وبين والده الراحل السير رولاند دى بويز من شبه كبير . فخرج ذلك الخادم العجوز للقاء أورلاندو فى طريق عودته من قصر الدوق فردريك كى يطمئن على سلامته من مغامرة المصارع ، فما أن رآه يطلع عليه من منعطف الطريق حتى انفجر حبه له وخوفه عليه على هذه الصورة :

ـ سيدى الرقيق ! سيدى الجميل ! يا خير ذكرى باقية لمولاى السير رولاند . لماذا انت شريف فاضل ؟ لماذا أنت رقيق قوى باسل ؟ ولماذا أقدمت على قهر هذا المصارع الشهير ؟ ان ذكرك العطر قد سبقك على أجنحة الريح الى موطنك

فدهش أورلاندو لهذا الانفعال العجيب وأدرك ان وراء ذلك كله شيئا ، فاستوضحه جلية الامر . وعندئذ اخبره الخادم العجوز كيف اضمر له شقيقه الشرير السوء ، حسدا لما يتمتع به من محبة الناس جميعا . فلما سمع بشهرته الجديدة التى أكسبته اياها هزيمته لذلك المصارع الجبار فى قصر الدوق فردريك ، عزم على القضاء عليه باشعال النار فى حجرة نومه أثناء الليل

وعقب الخادم المخلص على ذلك بنصح أورلاندو أن ينجو بنفسه من ذلك الخطر ، فيركن الى الفرار . وأرض الله واسعة ، وفى رحمته ورزقه سعة وغناء عن التعرض للمهالك بيد هذا الشقيق الحاقد

ولما كان (آدم) ، وهذا هو اسم الخادم العجوز الكريم النفس يعلم

ان أورلاندو لا يحمل مبلغا يذكر من المال ، فقد جاءه بالقليل الذى ادخره بتعب العمر كله وقال له :

ـ معى خمسمائة كراون هى الاجر الذى ادخرته على مدة والدك ، وكنت أعده ليكون عونا لى وطعمة عندما ينال الوهن من بدنى العتيق فاعجز عن الخدمة . فخذ يا سيدى وابن سيدى هذا المال . واما شيخوخة عمرى فانى أكل أمرها لمن يرزق الدودة فى باطن الصخر ! خذ هذا الذهب . فانى اعطيه لك كله . ثم اتخذنى لك خادما اتبعك فى غربتك . فلئن كنت متقدما فى السن ، فلسوف تجد منى بأس الشباب فى خدمتك والقيام على ما يلزمك

فتأثر أورلاندو كل التأثر ، وقال له :

ـ أيها الرجل العجوز الصالح ! كم اثمرت فيك العشرة القديمة ، وكم ظهرت فيك أمانة زمن لم يعد يظهر لنا منه الا الخداع فى أوانه الحديث . انك لست من طراز هذه الايام يا بقية زمن الصلاح والاخلاص والمروءة . سنمضى معا ، وقبل ان تنفد مدخرات شبابك سأكون قد وفقت الى مورد نتعيش منه كلانا

وهكذا ارتبط السيد الشاب المحبوب بخادم ابيه الوفى العجوز . وانطلق أورلاندو وادم فى رحلة لا يبغيان بها غاية معينة ، ولا يعرفان أين تلقى بهما مقادير الرحلة ، الى ان دخلا غابة اردن ، فوجدا نفسيهما فريسة التعب والجوع الشديدين كما كان جانيميد والينا فى هذا الموضع بعينه من قبل

واخذا يهيمان على وجهيهما ، يتسقطان مسكنا من مساكن البشر ، الى ان كاد يأتى عليهما الجوع والاعياء ، وقال آدم لمولاه :

ـ سيدى العزيز . انى أكاد أموت جوعا ، ولم تعد لى قدرة على المسير . والقى الشيخ بنفسه على الارض ، وكل اعتقاده انه سيتخذ من موضعه ذاك مقره الاخير ، وأخذ يودع سيده الشاب وداع الموت

ولما رآه أورلاندو فى هذه الحالة من الضعف ، أخذ خادمه المخلص بين ذراعيه وحمله الى أن وضعه فى ظل شجر باسق وارف ، وقال له :

ـ هون عليك يا آدم . وأرح أعضاءك الكليلة هنا برهة ، ولا تذكر على لسانك حديث الموت

ثم ذهب أورلاندو ينقب عن شىء من الطعام

***

مضى أورلاندو يضرب فى الغابة على هذا النحو الى أن ساقته قدماه الى الموضع الذى اتخذه الدوق المنفى مقرا له هو وأنصاره .

وكانوا على وشك أن يجلسوا الى طعامهم . وقد افترش هـذا الدوق سليل المجد عشب الارض ، ولا تظل رأسه الا أغصان متشابكة خضراء من شجرات ضخمة

وما أن رأى أورلاندو الطعام بين هؤلاء الرعاع حتى دفع به الجوع الى التهور ، فامتشق سيفه وفى مراده أن ينتزع منهم اللحم الذى يشوونه على نار عظيمة وسطهم عنوة واقتدارا ، وزعق فيهم :

ـ ارفعوا أيديكم عن هذا الطعام ! لا بد أن أناله طوعا أو كرها !

فسأله الدوق برصانة السن :

ـ هل ألقى بك الى هذا الاجتراء الحاح الجوع وضائقة اليد ، أم انت مطبوع على الفظاظة وامتهان آداب السلوك ؟

وأمام هذا السؤال الهادىء الوقور ثابت الى أورلاندو آدابه العالية ، واعترف للدوق بغير تردد أنه ما أقدم على ذلك الا لان الجوع كاد يهلكه . فقال له الدوق أنه ضيفه ويستطيع أن يجلس على الرحب والسعة ليصيب معهم من الطعام ما شاء

فلما سمع أورلاندو ذلك الشيخ يتحدث اليه بتلك الرقة والسماحة، أغمد سيفه وصبغت دماء الخجل وجهه لما أظهره من سوء سلوك وقال :

ـ أرجو أن تصفح عنى . فقد حسبت ان كل شىء فى هذه الغابة الوحشية يجرى على سنة الهمجية . فاتخذت من الهيئة واللهجة ما يوافق تلك الحال . ولكن أيا كنتم يا سكان هذه الغابة المقفرة ، الذين ينفقون أوقاتهم فى اهمال وتراخ تحت هذه العرائش الهادئة . انى أستحلفكم ان كنتم عرفتم يوما من الايام نعم الحياة واقبال الدنيا، وان كنتم عشتم يوما فى حظيرة الحضارة حيث تدعو دقات النواقيس الى الصلاة فى الكنائس ، وان كنتم جلستم يوما الى مائدة بمعنى الكلمة فى بيت رجل ذى مكانة ، وان كنتم قد ذرفت أجفانكم يوما دمعا على سبيل الرحمة والاشفاق .. أستحلفكم بذلك كله أن تسدوا الى معروفا

فأجابه الدوق :

ـ واننا حقا لقوم عرفنا كما قلت فى يوم من الايام نعم الحياة واقبال الدنيا . ولئن كنا نتخذ الان مأوانا فى هذه الغابة الوحشية . فقد سبقت لنا السكنى فى القرى والمدائن ، واستجبنا لدقات الاجراس تحدونا الى ساحات الكنائس . ولطالما جلسنا الى الموائد الحافلة فى بيوت كرام الناس . ولكم ذرفت عيوننا دموع الشفقة

والحنان . فاجلس مطمئنا ولا تخف ، واصب من الطيبات ما تشتهيه نفسك

فقال له أورلاندو :

ـ ان لى رفيقا عجوزا مسكينا ظل يطلع ورائى أمدا طويلا مدفوعا بحرارة الحب لى ، الى أن اصطلح عليه عجز السن وعجز الجوع . أقسم لا أقرب طعاما حتى ينال من الطعام ما يرد عليه روحه

ـ اذهب وجئنا به الى هنا . وسنمسك عن الاكل الى أن تعود . فانطلق أورلاندو يعدو كالنعامة الى حيث ترك آدم ، ولم يلبث أن عاد يحمله على ذراعيه ،فاستقبله الدوق قائلا :

ـ ضع عنك حملك الجليل . وتفضلا كلا

وتعاون الحاضرون على اطعام العجوز والترفيه عنه حتى انتعش واسترد عافيته وصحته

ولما رفع الطعام سأل الدوق أورلاندو عن شخصيته . فلما عرف أنه ابن صديقه القديم السير رولاند دى بويز ، فرح به وأضفى عليه رعايته ، فاستقر المقام بأورلاندو وآدم مع الدوق وأصحابه فى الغابة

وكان وصول أورلاندو الى الغابة بعد استقرار جانيميد وأليينا فى ناحية أخرى منها بمدة وجيزة

***

وفيما كان جانيميد وأليينا يتنزهان فى الغابة كانا يدهشان كثيرا لمشاهدة اسم روزالند محفورا فى جذوع الاشجار ، مع أبيات فى الغزل كلها موجهة الى روزالند هذه ، وحارا كيف حدث ذلك وما هو معناه . ثم اذا بهما يلتقيان بأورلاندو ، ويلمحان السلسلة التى أهدتها اليه روزالند تحيط بعنقه

ولم يخطر ببال أورلاندو أن جانيميد هو بعينة الاميرة الجميلة روزالند التى أسرت قلبه بتواضعها النبيل ورقتها ، حتى راح يقضى وقته كله فى نقش اسمها على الاشجار ، ونظم الاشعار فى التغنى بجمالها

ولقى الراعى الشاب جانيميد هوى واستحسانا فى نفس أورلاندو فجاذبه أطراف الحديث ، وهو يشعر بوجود شبه بين جانيميد هذا وبين محبوبته روزالند . ولولا أن جانيميد كان يصطنع لهجة الشبان فى المزاح حينما يجتمعون مع أقرانهم ، لامكن لاورلاندو أن يفطن الى مزيد من الحقيقة

وطرق جانيميد موضوع الحب والمحبين ، وراح يتندر أمام أورلاندو

بعاشق مجهول يتجول فى هذه الغابة ويفسد أشجارها بنقش اسم المدعوة روزالند على جذوعها ، مع مقطوعات فى التشبيب بمحاسنها

ـ ... وأقسم لو عثرت بهذا العاشق لالقيت عليه نصيحة طيبة تشفيه من داء غرامه هذا !

فاعترف أورلاندو أنه بعينه ذلك العاشق الذى يتحدث عنه جانيميد، وطلب منه أن يقدم اليه النصح الذى أشار اليه · وعندئذ قال جانيميد :

ـ ان العلاج الذى أقترحه عليك أن تأتى كل يوم الى الكوخ الذى أقيم فيه مع أختى اليينا · وهناك سأحاول تقليد روزالند هذه ، وتقوم أنت بدور العاشق الولهان ، وتخاطبنى بالالفاظ التى كنت حريا أن تخاطب بها روزالند · وبعد ذلك سأسلك معك السلوك الدلال التى تتخذه السيدات مع عشاقهن · واظل أعبث بك الى أن يأخذك الخزى من حبك · ومتى شعرت بالخجل من عاطفتك برئت منها

ـ ولم يقتنع أورلاندو بفائدة هذا العلاج ، ولكنه لم يجد بأسا فى القيام بتلك الزيارة ، وتمثيل ملهاة الغزل · ففى ذلك تسلية ان لم تكن فيه فائدة

وفى كل يوم صار أورلاندو يزور جانيميد واليينا · وهناك ينادى الراعى الشاب جانيميد باسم روزالند ، ويتدفق من فمه سيل من الغزل يصور به عواطفه وهيامه · وتوالت الايام على ذلك المنوال من غير أن تبدو علامات التماثل للشفاء على أورلاندو

ولئن لم يجد أورلاندو فى هذه التمثيلية ما يشفى غليله ، لانه ما كان يحلم ان جانيميد هو بعينه روزالند ، الا أنها كانت تتيح له الفرصة للتفريج عما فى قلبه من عواطف مكتومة ، فيشعر لذلك براحة · كما أن جانيميد كان يسر بسماع عبارات الهيام والوجد التى يعلم أنها موجهة فى حقيقة الامر الى شخصه

ومرت أيام جميلة على هذا المنوال الجميل ، وقنعت اليينا الطيبة القلب بتسهيل المهمة ومشاهدة هذه التمثيلية فى صمت لما كانت تراه من سرور جانيميد بها · وان كانت فى واقع الامر تفضل أن يشغل جانيميد نفسه بالعثور على قصر الدوق ، حتى تتمكن الاميرة روزالند من كشف النقاب عن حقيقتها

وفى ذات يوم التقى الراعى جانيميد بالدوق فى أحد ممرات الغابة وجها لوجه وجرى بينهما حديث ، سأل الدوق فى خلاله ذلك الراعى عن نسبه ، فأجاب جانيميد بلهجة ذات مغزى :

ـ ان نسبى يضارع نسبك ولا يتخلف عنه

فابتسم الدوق ابتسامة هينة ، اذ لم يخطر بباله ان هذا الراعى الجميل ينحدر حقا من سلالة ملكية

واذ رأى جانيميد بعينيه أن الدوق يبدو فى أحسن صحة وأتم سعادة ، اكتفت بذلك وأرجأت التوضيح النهائى الذى يكشف النقاب عن حقائق الامور الى بضعة أيام تالية

***

وذات صباح ، وقد اتجه أورلاندو مخترقا الغابة نحو مسكن جانيميد ، لمح رجلا نائما على الارض وقد لف ثعبان ضخم أخضر اللون نفسه حول عنقه · فلما رأى الثعبان أورلاندو يقترب منه ، هرب متسللا بين الشجيرات

ودنا أورلاندو من الرجل النائم فاكتشف لبؤة مقعية على الارض ورأسها بين مخلبيها الاماميين ترقب ذلك النائم كما ترقب قطة فريستها ، فى انتظار يقظته من نومه ، فمن المشهور أن الاسود لا تفترس شيئا ميتا أو نائما · فخيل الى أورلاندو أن العناية أرسلته لينجى هذا الرجل من خطر الثعبان ومن فتك اللبؤة

ولكن عندما أطل أورلاندو فى وجه ذلك الرجل النائم ، عرف فيه أخاه أوليفر الذى أساء اليه أشد الاساءة وكان ينوى أن يقتله حرقا بالنار · فنازعته نفسه أن يتركه فريسة للبؤة ضارية ، لولا أن العاطفة الاخوية ورقة فطرته تغلبتا على سخطه وحقده ، فاستل سيفه وهجم على اللبؤة فقتلها · وبذلك حفظ حياة أخيه من الثعبان السام ومن اللبؤة المفترسة · ولكن للاسف الشديد تمكنت اللبؤة قبل أن يقضى عليها من تمزيق احدى ذراعيه بمخلبها الحاد

وأثناء النزال الهائل بين أورلاندو واللبؤة ، استيقظ أوليفر على زئيرها ، فلما رأى شقيقه أورلاندو الذى كاد له وأسلف الاساءة والغدر يعمل على نجاته من وحش مفترس مخاطرا بحياته ، استولى عليه الخزى والندم على الفور ، وثاب عن سلوكه الشائن ، وتوسل الى أخيه بدموع غزار أن يعفو عن اساءاته المتعددة اليه

وابتهج أورلاندو اذ رأى أخاه تائبا نادما ، فصفح عنه من غير تردد ، وتعانق الاخوان · ومنذ تلك الساعة صار أوليفر يحب أورلاندو حبا أخويا صادقا ، وهو الذى كان قد حضر الى الغابة ليتعقب آثاره بقصد اغتياله

وأخذ الجرح الغائر فى ذراع أورلاندو ينزف نزفا غزيرا ، فوجد

نفسه ضعيفا لا يقدر على زيارة جانيميد ، فطلب من أخيه أوليفر أن يذهب ويخبر جانيميد بالحادث الذى وقع له

وذهب أوليفر الى هنـــاك ، وروى لجانيميد وأليينا كيف أنقـــذ أورلاندو حياته بشجاعة نادرة ونخوة لا مزيد عليهـــا • ولما فرغ من ذكر أعمال أورلاندو الباسلة ونجاته بفضله ، اعترف لهمـــا أنه هو أوليفر شقيق أورلاندو الذى أساء اليه كثيرا فيما مضى ، ثم أخبرهما بحديث تصالحهما وعودة المحبة الاخوية الى مجاريها الطبيعية بينهما

واظهر أوليفر أسفا عميقا جدا على سالف أعماله الشريرة ، فترك هذا أثره العظيم فى قلب أليينا الرقيق ، حتى لقد أحبته على الفور

ولما فطن أوليفر لما شعرت به أليينا من شدة الشفقة عليه ، أحبها هو الاخر حبا عظيما

ولكن فى الوقت الذى كان الحب يتســـلل فيـــه الى قلب أليينا وأوليفر ، لم يكن أقل انشغالا بقلب جانيميد • فما أن سمع بالخطر الذى أحدق بأورلاندو ، وأن اللبـــوءة مزقت ذراعه ، حتى أغمى على الراعى الجميل

ولما أفاق الراعى الجميل من اغمائه زعم لاوليفر أنه أغمى عليه وهو متقمص شخصية روزالند التمثيلية • وأخبرت أوليفر بقصـــة تلك التسلية اليومية ، ثم طلبت منه أن يبلغ أورلاندو كيف أتقنت عمليـة الاغماء اتقانا يشهد لها ببراعتها فى اتخاذ شخصية روزالند !

ولكن أوليفر رأى شحوب هذا الفتى شديدا جدا ممـــا يقطع بأن الاغماء حدث حقيقة لا تمويها ، وتعجب لضعف هذا الغلام ورقة قلبه ، فغمزه قائلا :

ـ ما دمت بارعا فى التمثيل ، فكما مثلت الاغماء النسوى ، تشجع وحاول أن تمثل صلابة الرجال بعض الشىء !

فأجابه جانيميد قائلا :

ـ انى أجتهد فى ذلك فعلا ما وسعنى ولكن كان ينبغى أن أخلق امرأة !

***

قضى أوليفر فى هذه الزيارة وقتا طويلا ، ولما عاد آخر الامـــر الى أخيه ، كانت فى جعبته أنباء كثيرة ، فضلا عن وصفه المسهب لاغمـاء جانيميد بمجرد سماعه بالجرح الذى أصيب به أورلاندو • وأخبـره كذلك كيف وقع فى حب الراعية الحسناء أليينا • وكيف أنها أعارت تحببه اليها أذنا صاغية ، فى تلك المقابلة الاولى بينهما

وقال أوليفر كذلك لاخيه ، بصيغة الامر المفروغ منه ، أنه متزوج

لا شد من أليينا فى أقرب وقت ، لانه يحبها كثـــيرا ، وسيعيش فى تلك الغابة حيـــاة الرعاة • أما ضـــيعته الواســـعة وبيت الاسرة فسيمنحهما هبة خالصة لاورلاندو ، آية على ندمه واعترافا بجميله

فقال له أورلاندو :

ـ انى موافقك تمام الموافقة • وليكن زواجكما غدا • وسأقوم أنا بدعوة الدوق وأصحابه لحضوره فاذهب أنت واقنع راعيتك بذلك • لانها الان وحدها فى البيت • فهذا هو أخوها قادم من بعيد

وذهب أوليفر الى أليينا • ودخل جانيميد الذى قدم ليستفسر عن صحة صديقه الجريح أورلاندو

***

وفتح أورلاندو لجانيميد موضوع هذا الحب المفاجىء الذى ربـط بين قلبى أوليفر وأليينا • وقال أورلاندو أنه نصح لاخيه أن يقنـع الراعية الحسناء بالموافقة على زواجها منه فى اليوم التالى ، ثم تنهـد

ـ كم كنت أتمنى أن يتم غدا فى الوقت عينه زواجى من روزالند

فلمعت عينا جانيميد وقال :

ـ انى موافق على زواج أختى غدا • وأما رغبتك أو أمنيتـــك الشخصية ، ففى استطاعتى ان كنت جادا فى حب روزالند كما طالما ذكرت لى ، فمن الممكن تحقيق هذه الامنية • فانى أعدك وعدا صـادقا أن أجعل روزالند الحقيقية تظهر لك بشخصيتها غدا • بل وأعـــدك أكثر من ذلك أن روزالند ستوافق على الزواج منك يا أورلاندو

وبطبيعة الحال كان هذا أمرا ميسورا جدا على جانيميد ، لانه هو بعينه روزالند • بيد أنه زعم لاورلاندو أنه سيتوصل الى ذلك بواسطة السحر الذى تعلمه من عم له كان من مشاهير السحرة !

ووجد أورلاندو المتيم نفسه نهبا للشك وللتصديق وللامل فى وقت واحد • وراح يستحلف جانيميد هل يتكلم جادا

فقال جانيميد بكل جد :

ـ أقسم لك بحياتى على صدق ما أقول • ولهـــذا أطلب منك متى كان الغد أن ترتدى أحسن مليوسك • وأن تدعو الدوق وأصـــحابه لحضور زواجك •

لانك ما دمت راغبا فى الزواج من روزالند ، فغدا ستكون روزالنـــد حاضرة بين يديك ، راغبة فى الزواج منك !

***

وفى صباح اليوم التالى كان اوليفر قد حصل على موافقة اليينا ورضاها ، فصحبها الى حضرة الدوق . وذهب اورلاندو معهما . وقد

التام الجمع كله للاحتفال بقران مزدوج . ومع ذلك لم تكن موجودة الا احدى العروسين . فسرت همهمة التساؤل والعجب والتخمين بين الرجال ، واستقر رأيهم بالارجح على أن جانيميد كان يهزأ بعقل أورلاندو

وأما الدوق ، فانه ما أن سمع أن التى سيتزوجها أورلاندو وستحضر بطريق التحضير السحرى هى ابنته بالذات ، حتى سأل أورلاندو

ـ أتصدق أن الراعى ، ذلك الغلام ، يمكنه فعلا أن ينفذ ما وعدك به ؟

وفيما كان أورلاندو يرد على الدوق انه لا يدرى ماذا يجب أن يعتقد ، اذا بجانيميد يدخل ، ويسأل الدوق بمنتهى الجد ، أن كان يوافق فى حالة حضور ابنته على زواجها من أورلاندو

وقال الدوق على الفور :

ـ أورلاندو فتى مقدام ، وانى لازوجها ، واهبه معها دولا وممالك و انها طوع يمينى ، ولا أرى ذلك عليه كثيرا

عندئذ قال جانيميد لاورلاندو :

ـ وأنت ؟ أتقر انك تتزوجها ان احضرتها الى هنا ؟

ـ نعم افعل ، حتى ولو كنت ملكا متوجا على عروش كثيرة

فخرجت الينا ومعها جانيميد ، وبسرعة طرح جانيميد عنه زى لغلمان ، فظهرت من تحته ثياب النساء ، وتحـــول على الفـــور الى وزالند من غير وساطة السحر

وكذلك خلعت الينا ثياب القرويات وارتدت ملابسها الثمينة ، فتحولت هى الاخرى بأيسر جهد الى الاميرة سيليا

وفى أثناء غيبتهما عن الجميع ، قال الدوق لاورلاندو :

ـ انى أرى هذا الراعى جانيميد شديد الشبه بابنتى روزالند

فقال اورلاندو :

ـ وأنا كذلك لاحظت هذا الشبه ، فكان من دواعى ميلى لصحبة هذا الغلام الراعى

ولم يتسع الوقت لهما لمزيد من التخمين والتأويل . واذا بروزالند وسيليا تدخلان فى ثياب الاميرات ، ولا تدعيان ان قوة السحر هى التى فعلت فيهما ذلك الاثر الغريب ، لان روزالند بادرت فخرت راكعة تحت قدمى أبيها ، وبالاسلوب المتبع فى بلاط الملوك والدوقات طلبت منه فى مهابة ورهبة أن يضفى عليها بركته والدا ودوقا

وبهت جميع الحضور لدخولها بهذا الشكل الفجائى ، حتى حسبوا أن السحر هو الذى اتى بها من قصر عمها الغاصب فردريك ، لولا أن روزالند ما كانت لتسترسل فى العبث مع أبيها ، بل اخبرته بقصـــة

فيها ، وسكناها فى الغابة وهى فى صورة غلام من الرعاة جاعلة من بنت عمها سيليا أختا لها

وامضى الدوق الموافقة التى كان قد منحها سلفا على ذلك الزواج . وتم فى وقت واحد قران أورلاندو وروزالند ، واوليفر وسيليا

ومع ان الاحتفال لم يكن من المستطاع اقامته فى تلك الغابة بما هو لائق بمقام العروسين الملكيين فى الظروف العادية ، الا انه لو غضضنا الطرف عن قشور المظاهر ونظرنا الى لباب العواطف والمسرات ، لالفينا انه ما من يوم قران كان أروع وابهج من ذلك اليوم

جلس الجميع يشوون لحم الغزلان وطيور الغابة فى ظلال الاشجار الندية ، وكأن شيئا فى الدنيا لا ينقص لتمام سعادة ذلك الدوق الفاضل وهؤلاء المحبين الاربعة ، واذا برسول يصل لاهثا ليبلغ أنباء أخـرى سارة فقد ردت دوقيته اليه

وجلية الامر ان المغتصب فردريك استشاط غيظا لفرار ابنتـه سيليا . وعلم ان كل يوم يشهد رحيل مزيد من ذوى المكانة فى الدوقية الى غابة أردن معرضين عن الحياة تحت سلطانه ، لينضموا الى الدوق الشرعى فى منفاه ويقاسموه شظف حياته . وعز على ذلك المغتصب أن يرى لاخيه المخلوع مكانة فى القلوب لا يستمدها من الثروة أو القوة أو السلطان

وأمر الدوق باعداد جيش جحفل جرار . وقاد ذلك الجيش بنفسه ، ثم أمر بالزحف صوب غابة أردن ، وفى نيته ان يقبض على اخيـــه ، ويعمل فيه وفى أتباعه المخلصين له حد السيف ، ليتخلص نهائيا من ذلك الشبح الذى ينغص عليه سلطانه المغصوب ، ويقض له مضجعه فوق ذلك العرش المسلوب

ووصلت طلائع الجيش فعلا الى مشارف غابة أردن ، وبدا لفردريك انه لم يعد يفصله عن غايته امد بعيد ، وداعبت آماله الشريرة أحلام القتل وسفك الدماء ، واذا بأصبع العناية تتحرك فتقلب الامور كلها راسا على عقب

التقى الدوق المغتصب فردريك عند دخوله الغابة بناسك طاعن فى السن يرتدى ثياب الرهبان ، وله لحية تكاد تمس الثرى وشعر مرسل ناصع البياض يكاد يغطى عينيه الكليلتين ، وبدن تكاد الريح تخف به عن وجه الارض . فأخذت فردريك الرهبة ، وتحركت فى قلبه رواسب الايمان والتطهير ، واحاط رجال الجيش بالناسك يتبركون به . وتقدم فردريك اليه يلتمس بركاته مع الملتمسين ، ويسأله دعاء يثبت به عزم

جنده ، وينتصر به على عدوه . ولكن الناسك القديس ابى ان يمنح الشر والقوة الغاشمة دعاء بالنصر او بركة من بركات السماء

وانعقد حديث طويل على مسمع من الجيش بين الناسك والفاتك . كانت فيها كلمات الراهب العجـــوز تخرج من فمه مضيئة فتنفذ الى القلوب بغير استئذان . وتحدث الرجل عن ملكوت السماء الذى لايمنح لذوى الشر ولا لاهل الجاه ولا للمتطاولين بالقوة والبأس . وانما هو للذين يؤثرون على انفسهم ، ومن عمرت قلوبهم بتقوى الله لا يبغون ولا يعتدون . ثم ذكره وعد الله الحق ، ووعيده بحياة أبدية لانهاية لها، يطول فيها الندم والعويل وصرير الاسنان لمن غفل بدنياه عن آخرته ، واغتر بلذته عن الحق والبر وايتاء كل ذى حق حقه ، وخفض جناح الذل لذوى الرحم واهل القرابة والتعفف عن الايذاء

واحس فردريك كأنه تعرى من ثيابه أمام ذلك الرجل الزاهد ، وكأنه رسول الاخرة بعثه الله اليه لينبهه من غفلته ويرده عن غيه ، ويفضحه أمام نفسه وجنده ، عسى أن يتقى فضيحة كبرى يوم الدينونة العظيم ، فتخشع وجزع ، واعترف بذنبه نادما تائبا

وعلى الفور أعلن رجوعه عن عزمه ، ونزوله عما اغتصب من الاملاك والسلطة ، وتصميمه ان تكون كفارته عن قديم ظلمه الاقتـــداء بذلك الزاهد فى خلع الدنيا من قلبه واعتزال فتنتها فى صومعة للعبادة

وكان أول عمل من اعمال نسكه أن أرسل هذا الرسول الى أخيه ، يؤذنه انه رد عليه دوقيته ، ومعها كل ما كان قد استولى عليه من أملاك أتباعه المخلصين

وجاءت هذه الانباء لتبلغ بأفراح ذلك اليوم ذروة لم تخطر بالبال . ونهضت سيليا بكل سماحة نفس فهنأت بنت عمها على ما ساقه الله اليها من حظ حسن هو حقها الشرعى ولا زيادة ، وتمنت لها من اعماق قلبها كل سعادة وتوفيق :

– ولئن انقلب وضعانا فلم أعد أنا الوارثة للدوقية ، فهذه الحال احب الى نفسى واندى لفؤادى ، فالحق أولى به ذووه ، يوما لاشعر ان الالقاب والاموال يمكن ان تفرق بيننا

وسنحت الفرصة للدوق كى يجزى اصدقاءه الاوفياء الذين شاركوه شظف المنفى فى الغابة، فوزع عليهم شارات التكريم وأنعم عليهم بالضياع

وبهذا ختمت تلك الرواية الجميلة الممتعة بما استحقت به ان تسمى « كيفما تريد »

سيدات من فيرونا

شخصيات الرواية

- **دوق ميلانو** ، وهو والد سيلفيا
- **فالنتياين** «Valentine»
- **بروتيوس** «Proteus» : السيدان بطلا الرواية
- **انطونيو** «Antonio» : والد بروتيوس
- **ثوريو** «Thurio» : منافس ابله لفالنتاين
- **اجلامور** «Eglamour» : مساعد لسيلفيا فى فرارها
- **سبيد** «Speed» : خادم مهرج تابع لفالنتاين
- **لونس** «Launce» : خادم مهرج تابع لبروتيوس
- **بانثينو** «Panthino» : خادم انطونيو
- **جوليا** «Julia» : حبيبة بروتيوس
- **سيلفيا** «Silvia» : حبيبة فالنتاين
- **لوسيتا** «Lucetta» : وصيفة جوليا

وخدم ، وقطـــاع طـريق ، وموسيقيون

سيدان من فيرونا

فى مدينة فيرونا فى الزمان السالف كان يعيش سيدان شابان ، اسمهما فالنتاين وبروتيوس ، تربطهما صداقة وثيقة العرى متصلة الحلقات منذ عهد الصبا . يحصلان العلم معا ، ويقضيان ساعات الفراغ معا ، اللهم الا حين يزور بروتيوس سيدة كان متعلقا بحبها

وكانت زيارات بروتيوس لهذه المعشوقة ، وتعلقه بتلك الحسناء التى كان اسمها جوليا ، هما الموضوع الوحيد الذى يثور فيه الخلاف بين الصاحبين

والسبب فى ذلك الخلاف أن فالنتاين لم يكن عاشقا ولم يجرب العشق فكان صدره يضيق أحيانا بما يسمعه من صـــديقه الذى لا حديث له الا عن جوليا . عندئذ كان فالنتاين يضحك من بروتيوس، ويوجه اليه عبارات الاستهزاء بعاطفة الحب . ويعلن أن وهما خرافيا من هذا القبيل لا يمكن أن يتطرق الى قلبه أو يدخل فى عقله . ويؤكد انه يفضل حياة الحرية وخلو البال التى يحياها الان على حيـــاة الاوهام والامال القلقة والمخاوف والوساوس التى يعيش عليها صديقه العاشق بروتيوس

***

وذات صباح حضر فالنتاين لدى برتيوس ليخبره انه لا مناص من افتراقهما فترة من الزمن ، لان فالنتاين سيسافر فى امر ضرورى الى ميلانو

وعز على بروتيوس أن يحرم من صحبة صديقه تلك المدة ، فحاول بشتى وسائل الاقناع ان يحمل فالنتاين على الغاء السفر . ولكن فالنتاين قال له :

ـ لا تتعب نفسك فى محاولة اقناعى يا عزيزى بروتيوس . فانى لا انوى ان ابلى ايام شبابى بهذه الحياة الخاملة الفارغة فى بلدنا . فان الشبان الذين لا يغادرون مسقط رأسهم تاسن عقولهم . ولو لم تكن

عواطفك مكبلة بأغلال تشدك الى عيني جوليا الساحرتين ، لطلبت منك أن تصحبني في سفري لتشاهد عجائب العالم خارج الحدود . ولكنك يا عزيزي عاشق قبل كل شيء فاستمر في عشقك ، وبارك الله لك فيه :

وافترق الصديقان وهما يتعاهدان على بقاء مودتهما مهما بعدت بينهما الشقة او طال الزمن . وقال بروتيوس :

– اذكرني أيها الحبيب فالنتاين كلما رأيت شيئا نادرا يسترعي انتباهك في أسفارك ، حتى أشاركك بالروح في سرورك

***

وبدا فالنتاين رحلته الى ميلانو في ذلك اليوم بعينه . ولما وجد بروتيوس نفسه وحيدا جلس ليكتب خطابا الى جوليا حبيبته ، وسلم ذلك الخطاب الى خادمتها لوسيتا كي تسلمه لسيدتها

وكانت جوليا تحب بروتيوس كما يحبها . ولكنها كانت شريفة النفس فلم تجد من اللائق بكرامتها أن تكون سهلة الميل قريبة المنال ولهذا تصنعت عدم الاستجابة لعاطفته ، وسببت له متاعب وقلقا شديدين في سبيل بثها هواه

فلما قدمت لوسيتا الخطاب الى جوليا رفضت ان تتسلمه ، ووبخت خادمتها لقبول الخطابات من بروتيوس ، وأمرتها بمغادرة الحجرة !

بيد انها في الوقت نفسه كانت شديدة الرغبة في معرفة ما كتبه في خطابه . فسرعان ما استدعت خادمتها ثانية . ولما دخلت عليها لوسيتا بادرتها بأن قالت لها :

– ناديتك لاسألك كم الساعة الان ؟

ولكن لوسيتا كانت تعرف ان سيدتها راغبة في الاطلاع على الخطاب أكثر من رغبتها المزعومة في معرفة الساعة . فمن غير ان ترد على سؤال سيدتها مدت اليها يدها بالخطاب المرفوض في صمت !

وغضبت جوليا غضبا شديدا لان خادمتها تجاسرت على اظهار فهمها لمكنونات تفكير سيدتها ، فكأنها جردتها من ثيابها في وقاحة ، ولهذا مزقت جوليا الخطاب قطعا صغيرة والقته على الارض ، ثم طردت خادمتها مرة اخرى من الحجرة !

وفيما كانت لوسيتا خارجة تنفيذا لامر سيدتها ، انحنت لتلتقط الاوراق الممزقة ولكن جوليا التي كان لها مآرب آخر ، صرخت متصنعة الغضب :

– اخرجي ايتها الملعونة حالا ، ودعي هذه مكانها . انك تتلكئين لكي تزيدي من نيران غضبي !

وبعد ان خرجت الخادمة شرعت جوليا تجمع القصاصات بعناية وتحاول وضع بعضها الى جانب بعض . واستطاعت اولا ان تتبين هذه الكلمات :

– المجروح القلب من الحب بروتيوس !

فاخذت تتأوه وتتوجع على هذه الكلمات ومثيلاتها التي راحت تكتشفها . وتقسم انها ستكتنز هذه العبارات الغالية في صدرها الى ان تلتئم جراح القلب ، وستشبع كل قصاصة منها لثما لتعوضها عن التمزيق !

واستمرت تتحدث على هذه الوتيرة في طفولة محببة من الانسات الصغيرات السن حين تحركهن لواعج الهوى ، الى ان عجزت عن قراءة بقية السطور لان تمزيقها كان شديدا ، وعز عليها ذلك واخذها الندم . فجلست تكتب الى بروتيوس رسالة ارق بكثير من كل ماكتبته اليه سابقا

وسر بروتيوس سرورا عظيما حينما تسلم هذا الرد الرقيق على خطابه ، فراح يناجي السطور والعبارات بصوت مرتفع :

– يا للكلمات العذبة ، ويالجمال الحياة مع الحب !

وفي وسط هذه الموجة الحماسية فوجيء بدخول ابيه عليه ، فصاح به :

– ما هذا الذي تقرؤه يا فتى ؟

– سيدي . انه خطاب من صديقي فالنتاين جاء من ميلان

– اعطني الخطاب لارى ما هذه الاخبار التي خف لها قلبك

فانزعج بروتيوس انزعاجا شديدا وقال :

– ليست فيه أية أنباء يا سيدي . كل ما هنالك انه يروي لي كيف احبه دوق ميلانو ، وصار يغدق عليه في كل يوم نعما جديدة . ولهذا فهو يتمنى ان أكون معه لاقاسمه حظه السعيد وثروته

– وما هو صدى هذه الرغبة في نفسك ؟

– صدى من يخضع لارادتك يا سيدي لا لرغبات صديقه

وكان والد بروتيوس قد طرق هذا الموضوع بالمصادفة مع بعض أصدقائه فلاموه لانه يترك شابا مثل ابنه خاملا فارغا في مسقط رأسه ولا يحمله على السفر ليختبر الدنيا مثل صديقه فالنتاين . فكان هذا الخطاب المزعوم مناسبة طيبة للتفكير الجدي في الموضوع

ومن غير ان يفسر لبروتيوس تصميمه المفاجيء ، أمره كما هى عادة ذلك الزمن الذى يخضع فيه الابناء للاباء طاعة عمياء :

ـ ان ارادتى يا فتى تتفق مع رغبة فالنتاين

ففغر بروتيوس فاه دهشة ، فاستطرد أبوه :

ـ لا تعجب لقرارى المفاجيء أن تقضى برهة من الوقت فى بلاط دوق ميلانو . فارادتى هى ارادتى ولا رجوع فيها أو مناقشة . فتأهب للسفر غدا . ولا تتعلل بالمعاذير !

وكان بروتيوس يعلم انه لا فائدة من الاعتراض أو الاحتجاج ، لان والده كان مستبدا تزيده المعارضة اصرارا . وراح يلعن نفسه لانه كذب على أبيه فى حقيقة الخطاب ، فجلب على نفسه ذلك التفريق الاليم بينه وبينها فى اللحظة التى لانت فيها لتوسلاته

***

ولما اكتشفت جوليا انها ستحرم من بروتيوس ذلك الزمن الطويل ، خلعت قناع التدلل والاعراض ، وكان لقاؤهما للوداع محزنا عاصفا ، تبادلا فيه سيولا من الدموع ووعود الوفاء . ثم تبادلا خاتميهما . وأقسم كل منهما ان يحتفظ بخاتم صاحبه تذكارا أبديا

وهكذا سافر بروتيوس مثقل القلب بآلام الهوى ، متجها صوب ميلانو ليلحق هناك بصديقه الحميم فالنتاين

وكان فالنتاين فى الحقيقة على الحالة التى زعمها بروتيوس لوالده ، يتمتع بمكانة لدى دوق ميلانو

وكما واتاه الحظ السعيد فى الامور الدنيوية ، طرأ عليه تغيير لم يكن بروتيوس يحلم به . فان فالنتاين تخلى عن حياة الحرية وخلو البال التى كان يتشدق متباهيا بها ، واصبح عاشقا متيما مثل صاحبه

أما الحسناء التى أحدثت فى فالنتاين ذلك التغيير الرائع ، فهى الاميرة سيلفيا ابنة دوق ميلانو ، وكانت تبادل فالنتاين حبه . بيد انهما كانا يكتمان غرامهما عن الدوق . ذلك أن الدوق رغم اعزازه لفالنتاين ودعوته اياه يوميا الى قصره ، كان ينوى تزويج ابنته من شاب من رجال بلاطه وهو ثوريو

وكانت سيلفيا تزدرى ثوريو هذا ، لانه لم يكن على شيء من رهافة الذوق وسمو الخصال والمزايا التى يتمتع بها فالنتاين

***

وفى ذات يوم جمعت الصدفة بين ثوريو وفالنتاين المتنافسين فى

حب سيلفيا ، فى مجلس هذه الاميرة الجميلة . وكان فالنتاين يضحك سيلفيا ويسليها بتسخيف كل كلمة يقولها ثوريو ، واذا بالدوق يدخل فجاة ويخبر فالنتاين بنبأ وصول صديقه بروتيوس الى ميلانو . وعندئذ قال فالنتاين :

ـ انى ما كنت أتمنى شيئا كما اتمنى رؤية بروتيوس هنا ..

ثم راح يثنى على بروتيوس لدى الدوق أطيب الثناء

ـ قد أكون يا مولاى ضيعت أيام صباى سدى . أما صديقى هذا فاحسن الافادة من أيامه . وهو كامل خلقا وخلقا ، عقلا وبدنا ، ويتحلى بكل مزية تزين كرام الرجال

فقال الدوق :

ـ مرحبا به اذن ولتحله المكان الذى هو أهل له . وانى أوجه هذا الكلام اليك ياسيلفيا واليك يا ثوريو ، فان فالنتاين لا حاجة به الى تزكية صديقه لديه ..

وفى هذه اللحظة دخل بروتيوس ، فقدمه فالنتاين الى سيلفيا قائلا :

ـ اعتبريه يا مولاتى شريكا لى فى خدمتك باخلاص

ولما انتهت الزيارة وانفرد الصديقان بنفسيهما قال فالنتاين :

ـ الان قل لى ما الذى جاء بك ؟ ولماذا غيرت رايك ؟ وكيف حال صاحبتك وحال حبك معها ؟

ـ ان حكايات حبى كانت مصدر سأم لك

ـ اسكت يا بروتيوس ! ان حياتى قد تغيرت الان وانى لاتوجه بالاعتذار والندم على ما اسلفت من الازدراء لهذه العاطفة . فقد عاقبنى الحب على ذلك فأطار النوم من عينى . لقد آمنت يا بروتيوس ان الحب سيد قوى ، قهرنى واذلنى حتى اعترفت انه لا نار مثل نار عذابه ولا نعيم على الارض كنعيم رضوانه . وامسيت لا التذ حديثا على مسمعى كحديث الحب . والان لا اسام ان يكون ذكر الحب هو افطارى وغدائى وعشائى ، وما اتخلل به بين ذلك ايضا !

وتهلل وجه بروتيوس لانباء هذه التغيرات التى اعترت صديقه فالنتاين . ولكنه لما استوضحه عمن تكون محبوبته ، وعرف انها سيلفيا ، زكبه الغم . لان مقابلته هذه القصيرة للحسناء سيلفيا كانت كافية كى تطمس من قلبه حب جوليا ، فافتتن بها وجن جنونه . وصار من هذه اللحظة عدوا لمن كان له أصدق صديق

واستمر الصراع قائما زمنا فى نفس بروتيوس ، ولكنه انهزم

أمام عاطفته الجامحة ، ومزق مواثيق جوليـــــا وعهود صداقته لفالنتاين

وبطبيعة الحال لم يكن فالنتاين يقدر حقيقة ما يجيش فى صـــدر بروتيوس ، فظن ان صداقتهما على حالها ، وان الحسناء جوليا هى مالكة فؤاده . وعلى هذا الاساس افضى اليه بتفاصيل قصة حبه كلها. وكيف أن سيلفيا متواطئة معه على اخفاء هذه الحقيقـة عن والدها الدوق

بل واكثر من هذا جاء يوما وقال ان سيلفيا يائسة من الحصول على موافقة ابيها الدوق ، ولهذا اتفقت معه على الهرب سرا فى هـذه الليلة بعينها فارين الى مانتوا

ثم أطلع بروتيوس على سلم الحبال فى عزمه أن يساعد به سيلفيا على الهبوط من نافذتها ليلا

وعلى الفور نشط الصديق الغادر ليبلغ سر هذا الاتفاق بحذافيره الى الدوق . وكان فى بلاغه حاذقا اريبا :

ـ لقد ترددت كثيرا يا مولاى لان الذى سألقيه على مسامعك يمس صديقا هو أقرب الناس الى نفسى . وكنت ملزما بأصول الصداقة ان أكتم سره عن كل انسان واعينه على غاياته ، بيد أن ماغمـــرتمونى به سموكم من سابغ النعم ، وغالى الثقة ، كان أعلى صـــوتا من نداء الصداقة . فوفاء لكم وولاء لعرشكم اضع نفسى تحت شبهة خيانة الصديق ، وهو ـ علم الله ـ وفاء اربى على الوفاء للصداقة فى واقـع الامر

وبعد هذه المقدمة الحصيفة ذكر له تفاصيل المؤامرة ، ولم يغفل منها سلم الحبال ، الذى سيخفيه فالنتاين تحت عباءته

وكان طبيعيا أن يظن الدوق بروتيوس معجزة فى الولاء وصـــدق الطوية ، ووعده الا يبوح لفالنتاين باسم المصدر الذى استقى منه هذه المعلومات . وعزم ان يدبر حيلة يستدرج بها فالنتاين الى افشـــاء سره بنفسه

انتظر الدوق الى ان حضر فالنتاين كعادته الى القصر فى المساء . وفطن الى شىء مكور قليلا تحت عباءته ، فعرف أنه الحبل . وعنـدئذ استوقفه قائلا :

ـ لمـاذا أنت متعجل فى الانصراف يا فالنتاين ؟

ـ أن هنـاك رســولا ينتظرنى لاتسلم منه خطابات هامة وأعطيه ـ اخـــرى

ـ وهل هذه الرسائل كبيرة الاهمية ؟

ـ كلا يا مولاى . انها رسائل الى ابى واصدقائى اطمئنهم فيها الى كمال حظى وسعادتى بفضل مكارم سموكم

ـ اذن لا بأس ان تبقى معى قيلا ، فانى اريد ان استشيرك فى امور تمسنى عن قرب

ثم روى لفالنتاين حكاية اخترعها ، لتكون مقـــدمة يستـــدرج بهـــا سره

ـ انت تعلم يافالنتاين أنى اريد أن ازوج ابنتى من ثوريو . ولكن ابنتى تجفل من ذلك الزواج وتعصى امرى ، متناسيـــة انها ابنتى ، ومتحدية ما املكه عليها من سلطان بهذه الصفة . ولا اكتمك يافالنتاين أن سلوكها هذا أخرج حبها من قلبى . وأنا الذى أظن أن شـيخوختى سيسعدها معرفتها بواجب بنوتها نحوى . ولهذا عرفت يا فالنتاين ان ارتب حياتى على اساس غير الركون الى عواطف تلك الابنة . وصح رايى ان أتزوج ، ثم القيها الى أى انســان يرغب فى الزواج منهـــا حين تكون ملامتها هى كل بائنتها فلن أهبها شـــيئا من أملاكى ولا من مالى

وتحير فالنتاين لمـا سمع وقال :

ـ وماذا ترغبون سموكم فى أن أصنع فى هذا الموضوع ؟

ـ أن السيدة التى أرغب فى الزواج منها جميلة ذات دلال ، ولاتعجبها طريقتى العتيقة فى الحديث . فان أسلوب الغزل اعتراه الـكثير من التغيير منذ أيام شبابى . ولهذا اخترتك كى تكون مرشدى الذى اتعلم منه أنجح أساليب الغزل والتودد الى النساء واستمالة قلوبهن

فراح فالنتاين يعطيه فكرة عامة عن أساليب الغزل التى يمارسـها الشباب ، عندما يريدون اكتساب حب سيدة حسناء ، من قبيل تقديم الهدايا ، والاكثار من الزيارة ، وما الى ذلك

وكان جواب الدوق على ذلك ان السيدة التى يعنيها رفضت هدية أرسلها اليها . وان والدها يقيم عليها حراســـة شـــديدة ، بحيث لا يستطيع أى رجل أن يصل اليها نهارا . فقال فالنتاين :

ـ اذن تزورها ليلا

فمط الدوق المـاكر شفتيه وقال :

ـ ولكن ابوابها فى الليل موصدة من الداخل

وكان هذا هو الفخ الذى نصبه الدوق لفالنتاين الساذج . فاذا به يقترح على الدوق ان يتسلل الى حجرة السيدة ليلا ، عن طريق سلم

من الحبال

– سلم من الحبال : ومن أين أحصل عليه فيتغامز على خدمى ؟

فقال له فالنتاين انه سيدبر له هذا السلم

– واين اخفى هذا السلم ؟

– تحت عباءة فضفاضة مثل عباءتى هذه

فمط الدوق شفتيه وقال :

– ليس لدى هذا الطراز الفضاض . اقرضنى عباءتك

ثم مد يده الى عباءة فالنتاين وجذبها اليه . فلم يكتشف تحتهـا سلب الحبال فحسب ، بل أيضا خطابا من سيلفيا ، فتحه وقرأه على الفور . فوجد فيه شرحا مفصلا لخطوات الفرار

وبعد ان القى الدوق على فالنتاين درسا قاسيا لجحوده فضله ورده احسانه اليه بالاساءة ، منتويا سرقة ابنته وتحطيم قلبه وتلويث شرفه، نفاه من البلاط ومن مدينة ميلانو نفيا ابديا

وهكذا اكره فالنتاين على الخروج من المدينة تلك الليلة ، من غير أن يرى حبيبته سيلفيا

وفى الوقت الذى كان فيه بروتيوس فى ميلانو يكيد لفالنتاين ،كانت جوليا فى فيرونا تتالم لغياب بروتيوس . وغلب عليها الشوق والوجد ما تحتفظ به من الوقار واحتشام الانوثة ، فقررت أن تغادر فيرونا ، لتلتمس عاشقها فى مدينة ميلانو

وكيما تجنب نفسها مخاطر الطريق التى تتعرض لها فى ذلك الزمن شابة جميلة تسافر وحدها مع خادمة ، قررت ان ترتدى هى ولوسيتا ثياب الرجال ، ووصلتا الى ميلانو بعد نفى فالنتاين منها مباشرة بسبب خيانة بروتيوس

ودخلت جوليا ميلانو قرب الظهر ، ونزلت فى خان من خانات الضيافة ، ولما كانت كل افكارها منصبة على عزيزها الغالى بروتيوس، فقد اشتبكت فى حديث مع صاحب الخان ، او المضيف كماكانوا يسمونه عسى أن تتسقط منه خبرا عن احوال بروتيوس

وسر الرجل سرورا عظيما لان هذا الشاب النبيل الذى يبدو من جماله ولباسه انه من ذوى المنزلة العالية ، يتحدث اليه فى تواضع وبغير كلفة

وكان الرجل على شىء من طيبة القلب فاحزنه ان يرى هذا الشاب الجميل بادى الوجوم . فلكى يدخل السرور على نفسه عزم عليه أن يأخذه حيث يسمع انغاما موسيقية جميلة تستعد بها الفرقة الموسيقية

لخدمة سيد يعتزم هذا المساء أن يغنى على نغماتهـا تحت نافذة محبوبتـه

وكان سبب وجوم جوليا وحزنها انها كانت لا تدرى على التحقيق كيف سيكون وقع حضورها الجرىء على نفسه . لعلمها انه احبهـا لشرف محتدها وكبرياء أنوثتها وترفعها . وخشيت ان تكون قد اسفت بنفسها كثيرا فى ميزان تقديره . وهذا ما جعلها بادية الشرود والاسى

وقبلت جوليا على الفور وبسرور تام اقتراح المضيف ان تذهب معه لسماع الموسيقى . وفى مرجوها ان تسعدها الظروف فى الطريق فتلتقى بحبيبها بروتيوس ، او تسمع عنه نبأ

وقادها المضيف الى القصر . فاذا بها تفاجأ بشىء لم يكن لهـا فى الحسبان . يحدث فى نفسها من الاثر عكس ما رمى اليـه المضيف من دعوتها . فهناك شهدت حبيبها الغادر بروتيوس يتغنى على نغمات الموسيقى متحببا الى الاميرة سيلفيا ، وموجها اليهـا عبارات الحب والاعجـاب

وسمعت جوليا سيلفيا تكلمه من النافذة ، وتوبخه على تخليه عن حبيبته الوفية ، وعلى غدره بصديقه فالنتاين ، ثم غادرت سيلفيا النافذة رافضة ان تصغى لموسيقاه واشعاره ، معلنة انها ستظل وفية لحبيبها المنفى فالنتاين ، وأنها تمقت أشد المقت هـذا السلوك الشائن الذى اختاره بروتيوس الغادر لنفسه

وعلى الرغم مما القاه هذا المنظر من الالم واليأس فى قلب جوليا ، الا انها لم تزل واقعة تحت سلطان حب بروتيوس

ولما سمعت بعد ذلك أن بروتيـوس طرد خادمه أخيرا ، عزمت بمساعدة مضيفها صاحب الخان ان تدخل خدمة بروتيوس بصفـة حاجب او وصيف

ولم يفطن بروتيوس الى أن هذا الوصيف هو جوليا . فصار يكلفها توصيل الرسائل والهدايا الى غريمتها سيلفيا . وبلغ به الامر أن بعث معها بالخاتم ذاته الذى اعطته اياه فى لحظة الوداع بفيرونا واقسم ان يحتفظ به تذكارا ابديا ، كما تحتفظ هى بخاتمه

ولما ذهبت الى الاميرة سيلفيا بالخاتم ، سر قلبها كثيرا ما اظهرته سيلفيا من رفض كل شىء يأتيها من بروتيوس

ودخلت جوليا – متخفية تحت اسم الوصيف سباستيـان – فى حوار مع سيلفيا عن حبيبته الاولى المهجورة النبيلة جوليا . فانتهزت هذه الفرصة كى تثنى على نفسها ما استطاعت . ولما سألتها سيلفيا

ان كانت تعرف جوليا ، قالت :

ـ اعرفها تماما كما اعرف نفسي . فجوليا طولها مثل طولي ،ولونها مثل لوني ، ولون عينيها كلون عيني ، ولون شعرها كلون شعري

والواقع ان جوليا كانت بارعة الجمال وهي في ثياب الرجال. فتحرك قلب سيلفيا بالشفقة على هذه السيدة الحسناء التي هجرها حبيبها هذا الهجر القبيح من غير تورع

لما قدمت جوليا الخاتم الذي أرسله بروتيوس رفضته قائلة :

ـ كان ينبغي أن يخجل من ارسال هذا الخاتم . فقد سمعته مرارا يقول أن جوليا اعطته اياه . واني لاحب منك أيها الشاب الرقيق عطفك على السيدة جوليا المسكينة . فخذ هذا الكيس من اجل جوليا

فوقعت هذه الكلمات الرقيقة من لسان غريمتها على قلبها وقعا خففت عنها كثيرا ورفع معنوياتها

***

والآن نعود الى فالنتاين وقد نفي من ميلانو ، فنجده حائرا لايدري اين يولي وجهه . فهو لا يريد ان يعود الى وطنه فيرونا والى ابيه وقد هوى من مكانته العالية ووصم بسخط الدوق مطرودا من بلاطه

وراح فالنتاين يهيم على وجهه في غابة منعزلة لاتبعد كثيرا عن ميلانو، حيث ترك جوهرة قلبه الغالية الاميرة سيلفيا . واذا باللصوص ينقضون عليه ويطلبون منه ما يحمله من المال

وأخبرهم فالنتاين أنه رجل مكروب عاكسته الاقدار ، خرج من المدينة منفيا مطرودا ، ليس معه مال . وان الثياب التي عليه هي كل ما يملكه

فلما سمع منه اللصوص انه رجل ادبرت عنه الدنيا ، اخذوا بمنظره النبيل ورباطة جاشه ووسامته ، فعزموا عليه ان يقاسمهم حياة قطع الطريق ، وأن يتخذوه قائدا لهم ، ينضمون تحت أمرته . ولما راوا تردده خيروه بين ذلك العرض وبين قتله

ولم يجد فالنتاين ما يمنعه من قبول الحياة مع هؤلاء اللصوص وان يتزعمهم ، ولم يشترط عليهم الا الامتناع عن اغتصاب النساء أو مهاجمتهن ، او السطو على الفقراء من المسافرين . فنزلوا على شرطه

وهكذا اصبح فالنتاين رئيس عصابة من قطاع الطرق الخارجين عن القانون ، كما كان روبن هود في الزمان السالف

وتترك فالنتاين مع عصابته لنعود الى ميلانو

فكرت سيلفيا في وسيلة تنجيها من الرضوخ لعزم أبيها أن يزوجها من ثوريو ، ولا سيما أن الدوق صار يستعجلها في ذلك السبيل

ولما كانت نية فالنتاين ان يفر الى مانتوا ، فقد ظنته بعد النفي ذهب الى هناك . وقررت ان تهرب لتلحق به . ولكنها كانت مخطئة في ذلك التصور ، لان فالنتاين كان في الغابة القريبة متزعما قطاع الطرق ، وان كان لا يشترك معهم في أعمال السطو ، ولا يستخدم سلطانه عليهم الا لترقيق قلوبهم على من ينقضون عليهم من المسافرين

ودبرت سيلفيا فرارها من قصر ابيها في صحبة سيد فاضل متقدم في السن اسمه اجلامور ، كي يتولى حمايتها وهي في الطريق

وكان عليها أن تخترق في طريقها الى مانتوا تلك الغابة التي يسكنها فالنتاين مع قراصنته . فاسر أحد هؤلاء اللصوص سيلفيا . وكان حريا أن يأسر اجلامور كذلك ، لولا انه لاذ بالفرار

ولما راى قاطع الطريق حالة الرعب الشديد الذي استولى على سيلفيا قال لها :

ـ هوني عليك فلن امسك بسوء . بل سأحملك الى الكهف الذي يقيم فيه زعيمنا الهمام

فجعلت تستحلفه الا يذهب بها الى ذلك الزعيم ، فمن يدري ماذا سيفعله بها ، ولكن اللص قال لها :

ـ لا بأس عليك منه . فان زعيمنا رجل ذو خلق ومروءة ، همه دائما حماية النساء من العدوان . ويحتم علينا أن نذهب بها اليه ، كي يصبحن تحت رعايته هناك في مأمن على أعراضهن

بيد أن سيلفيا لم تجد بطبيعة الحال في نفسها ميلا للثقة في صدق هذا القول . وجعلت تولول نادبة سوء طالعها وما يدخره لها الغيب على يد هذا الزعيم الذي يزعمونه فاضلا شريفا ، ولا يتأتى للص أن يكون كذلك

وصرخت مستنجدة في كربتها :

ـ آه يا فالنتاين ! كل هذا تحملته من أجلك

وفي الطريق الى كهف الزعيم اعترض طريق سيلفيا والقرصان فارسان هما بروتيوس ومن ورائه جوليا متخفية في زي تابعه سباستيان . فان بروتيوس لما سمع بفرار سيلفيا تعقب آثارها الى هذه الغابة

وخلصها بروتيوس من ايدى القرصان ، ولكنه قبل ان تنطق بشكره لاحقها بكلمات الغزل ، والح عليها أن تقبله زوجا . وقد وقفت جوليا من ورائه فى أشد حالات القلق ، لانها خشيت أن تكون الخدمة الجليلة التى أسداها بروتيوس الى سيلفيا قد أثرت فى نفسها وعطف عليه فؤادها

وقبل أن ينتهى الحوار الى نتيجة واضحة ، دهش الثلاثة بظهور فالنتاين فجاة ، لانه لما بلغه ان أحد رجاله سبى سيدة اسرع ليرفه عنها ويؤمنها ، بعد أن استبطأ قدومه

ولما وجد بروتيوس نفسه وقد ضبطه صديقه القديم متلبسا بمغازلة سيلفيا ، استولى عليه الخزى والندم ، وأظهر أسفا لما أسلفه الى فالنتاين من اساءة ، حتى ان طبيعة فالنتاين الكريمة غلبته ، فأعلن صفحه عن صديقه الغادر ، بل وجمح به الكرم فقال له :

ـ انك صديقى الوحيد وانت عندى مقدم دواما على نفسى . فلست أصفح عنك وكفى ، بل اهبك كل الذى لى من اهتمام وتعلق بسيلفيا

فلما سمعت جوليا ذلك ، خشيت الا تسعف بروتيوس الشهامة والنخوة ، فيقبل ما عرضه عليه صديقه مهتبلا الفرصة ، فأغمى عليها وهى فى ثياب الرجال

وأفاد هذا الاغماء فى انشغال سيلفيا باسعاف الوصيف الجميل . ولولا هذا لاتسع لها الوقت كى تغضب للاهانة التى لحقتها من فالنتاين اذ خلعها على صديقه من غير مراعاة لعواطفها ، وان كانت لا يمكن أن تظن حبيبها يسترسل طويلا فى تلك الدفعة المسرفة من دفعات السخاء

ولما أفاقت جوليا من غيبوبتها قالت :

ـ لقد نسيت شيئا مهما . فقد امرنى مولاى ان أقدم هذا الخاتم للاميرة سيلفيا ، وهذا اوان تنفيذ امره

ونظر بروتيوس الى الخاتم فاذا به بعينه خاتمه الذى كان منحه لجوليا تذكارا عند افتراقهما فى فيرونا ، فى مقابل الخاتم الذى تلقاه منها . فصاح :

ـ ما هذا ؟ كيف حدث؟ ان هذا خاتم جوليا فكيف وصل اليك يا غلام ؟

ـ ان جوليا بنفسها اعطتنى اياه يا سيدى . وجوليا بنفسها هى التى احضرته الى هنا

فتفرس فيها بروتيوس بامعان ، وعندئذ ايقن ان هذا الغلام سباستيان ليس سوى جوليا بلحمها ودمها . وكان البرهان العملى الذى قدمته على اخلاصها ووفائها بعهده ، بالغ الاثر فى نفسه ، بحيث ارتد حبها الى قلبه ، فاحتضنها معلنا رجوعه عن كل مطمع لهفى

الاميرة سيلفيا التى استحق فالنتاين حبها بكل جدارة

وفيما كان بروتيوس وفالنتاين يتبادلان تجديد العهود بعد الصلح، اذا بالاربعة يفاجأون بظهور دوق ميلانو ومعه ثوريو ، يتبعان الاميرة سيلفيا

واقترب ثوريو أولا وحاول أن يمسك بسيلفيا قائلا :

ـ سيلفيا لى أنا

وعندئذ قال له فالنتاين بلهجة الدعابة :

ـ ارجع الى الوراء ياثوريو . وان قلت مرة اخرى أن سيلفيا لك أنت ، فسأجعلك تعانق منيتك . هاهى ذى واقفة فحاول ان تلمسها! واتحداك أن تلفحها بانفاسك

فلما سمع ثوريو ذلك التهديد ، وكان جبانا رعديدا ، تراجع قائلا انه لا يهمه أمرها . وأن المجنون وحده هو الذى يقاتل من اجل فتاة لا تضمر له حبا

اما الدوق الذى كان رجلا مقداما للغاية ، فقد اغضبه كلّ الغضب ذلك الجبن الذى أبداه ثوريو وصاح به :

ـ ما أحراك بالخزى أن يكون حقك عليها بذلك الوضوح ، ثم تتخلى عنها بذلك الهوان

ثم التفت الى فالنتاين وقال له :

ـ انى احيى فيك همتك يا فالنتاين واراك خليقا بحب امبراطورة. ستكون سيلفيا لك لانك جعلت نفسك اهلا لها

فتقدم فالنتاين بكل تواضع وقبل يد الدوق ، وتقبلّ الهدية الثمينة التى منحه الدوق اياها فى شخص ابنته مع الشكر الواجب

ولم يفته أن ينتهز هذه الفرصة السارة ليستصدر من الدوق فى ساعة الصفو عفوا شاملا عن اللصوص الذين تزعمهم بعض الوقت فى الغابة . مؤكدا للدوق انه اذا استصلحهم وردهم الى حظيرة المجتمع، سيجد فيهم خيرا كثيرا ، ورجالا صالحين لاداء أجل الخدمات . فمعظمهم محكوم عليه بالنفى مثلّ فالنتاين لاسباب سياسية لا لجرائم تخدش الشرف والسمعة

ووافق الدوق على ذلك الالتماس . ولكنه أبى الا ان يعاقب بروتيوس عقابا يتناسب مع فعلته . فكلفه ان يحضر تلاوة قصة غرامه وخيانته فى مجلس العرش ، حتى يكون الخزى الذى يلحقه تكفيرا كافيا عن ذنبه

وبعد ذلك تم زواج المحبين الاربعة فى رعاية الدوق النبيلّ ، وبكلّ مظاهر الابتهاج والتبجيل

انتهى الجزء الاول

الجزء الثانى من :

روائع شكسبير

- تاجر البندقية
- ترويض العاصية
- صاعا بصاع
- الليلة الثانية عشرة
- ستلاف أشينا
- هاملت
- عطيل
- بركليس

اشترك فى روايات الهلال

(اسعار الاشتراك على الصفحة الثانية)

وكلاء اشتراكات مجلات دار الهلال

البحرين : السيد مؤيد أحمد المؤيد
صندوق البريد رقم ٢١

البرازيل :
Mr. Miguel Maccul Cury.
R. 25 de Marco, 994,
Caiza Postal 7406,
Sao Paulo, BRASIL.

سنغافورة :
Ahmed Bin Mohammed Bin Samit
Almaktab Attijari Asshargi
P.O. Box 2205
SINGAPORE

انجلترا :
The Arabic Publications Distribution Bureau,
7, Bishopthorpe Road
London S.E. 26,
ENGLAND.